الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⴰⴽⵍⵉ ⵎⵓⵃⴻⵏⴷ ⵓⵍⵃⴰⵊ - ⵜⵓⴱⵉⵔⴻⵜ -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

قسم اللّغة والأدب العربي

التخصّص: أدب عربي

دراسة الجوانب الاجتماعية

في رواية "نزلاء الحرّاش" للحبيب سائح

مذكرة مقدّمة لاستكمال متطلّبات الحصول على شهادة اللّيسانس

إعداد الطّالب :
قشايري يحي

إشراف الأستاذ:
أ .عبد الدّايم عبد الرحمان

-

السنة الجامعية

2023_2024

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى من وقفت بجانبي ودعمتني في السرّاء و الضرّاء

إلى زوجتي الغالية

إلى فلذة كبدي ونور صدري

إلى ابنتي الغالية

إلى الوالدين الكريمين(أمي وأبي) و إخوتي و الأقارب

إلى كل الأصدقاء وزملائي في الجامعة

وأرجو من الله تعالى أن يوفقني في هذا البحث

شكر و عرفان

نحمد الله العليّ العظيم الّذي وفّقنا إلى إنجاز هذا العمل

أتقدّم بخالص الشكر و التقدير للأستاذ الفاضل:

عبد الدّايم عبد الرحمان

كما أتوجّه بجزيل الشكر إلى كل الأساتذة

خاصّة الذين درّسونا و استفدنا من نصائحهم وتوجيهاتهم.

أتوجّه بالشكر إلى من رافقونا خلال الدرب الدراسي الجامعي

في الأخير أشكر كل من رافقنا من الزملاء و الزميلات

مُقدِّمة

مُقدّمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينُه ونسترشد به ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدهِ الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، أنزل أنزل كتابه الكريم بالحجة الدّامغة، والبرهان النّاصع وموعظة وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للعالمين، قال الله تعالى: {اقرَأ بِاسْمِ رَبِّكَ الّذِي خَلَق(1) خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَق(2) إقْرَأ وَرَبُّكَ الأَكْرَم(3) الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَم(4) عَلَّمَ الإنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم(5)}" وصلّ الله على نبيّنا مُحَمَّدْ (ص) الذي قال: فعن أنس بن مالك –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنّه قال:{طَلَبُ العِلمِ فَرِيضَةٌ علَى كُلِّ مُسْلِمٍ}

أمّا بعد فقد سعت الرّواية الجزائرية ولفترات طويلة لمواكبة روح العصر، ومحاولة التعبير وتجسيد الظروف الاجتماعية والحياتية الّتي يعيشها الفرد الجزائري، ولكن في ظل هاتِهِ الظروف الرّاهنة ظلّ الرّوائيون يكتبون بنظرة سطحية خالية من الدّقة العلمية والقيم الجمالية، وظلّت الرواية السياسية المعاصرة تُراوحُ مكانها وتُعالج القضايا الوطنية وما يُعانيه من قهر وظلم سلطوي، خاصة في ظلّ الحكم الفاسد الذي جرّ البلاد إلى الهاوية، وهذا ما حملته صفحات رواية "نزلاء الحراش" للحبيب السائح، والّتي أخذتها لتكون موضوعا لبحثي هذا

وقمتُ في هذا البحث المُتواضع بتقسيمه إلى مقدمة بسيطة قمت فيها بطرح بعض التساؤلات حول البحث ثمّ فصلين: الأول نظري والذي قمت فيه بتوضيح بعض المفاهيم والمصطلحات المهمّة المتعلقة بالمنهج الاجتماعي، وكيفية دراسته للرواية، وتطرّقت لكلّ مصطلح يخُصّ البحث، وكلّ ما يخصُّ الجوانب الاجتماعية للرواية، أما الفصل الثاني فقد جاء للجوانب التطبيقية، وفيه قمت باستخراج كل الظواهر والآفات الاجتماعية التي استعصت على المجتمع الجزائري في الآونة الأخيرة وختمت بحثي بلمحة وجيزة عن حياة الحبيب سائح أما الخاتمة فقد حاولت من خلالها أن أبرز أهم الخطوط العريضة لنتائج البحث لعلّي أوفّق ولو على قدرٍ يسير كي أسلّط الضّوء على موضوع الرواية الجزائرية والّتي والحقّ يُقال أنّها لم تَؤخذ حقّها من الّدراسات الأكاديمية العميقة وقد اعتمدت في إنجاز مذكرتي هذه على مجموعة من المصادر والمراجع الّتي أسهبت في تقديم صورة واضحة عن الجوانب الاجتماعية في رواية نزلاء الحرّاش

وكان من بين الأسباب التي جعلتني أختار عنوان البحث هذا "**دراسة الجوانب الاجتماعية في رواية نزلاء الحراش للحبيب السائح** " هو أولاً هوايتي في قراءة الروايات الشعبية القريبة من الشعب والتي تتناول الواقع المُعاش، وثانياً شدّني الفضول لقرائتها من خلال عنوانها وخاصّة أنّها كُتبت بعد الحراك الشعبي والانقلاب على الرئيس الراحل عبد العزيز بوتفليقة، وكذلك أنا مُتتبّع لروايات السائح منذ روايته أنا وحاييم الرائعة، فكان هدفي في هذا البحث المتواضع هو تسليط الضوء على ما حملته رواية نزلاء الحراش من آفات وجوانب اجتماعية، وما أفرزته مُخلّفات الحِراك الشعبي، وما مدى قدرة الروائي الحبيب سائح عل صياغة أفكاره وكشف الحقائق، ولأجل إنجاز هذا العمل لابُدّ من طرح مجموعة من التساؤلات والتي تُمثّل إشكالية البحث:

– ما هو واقع الرّواية السياسية وأدب السجون في الجزائر ؟

– كيف عالج الكاتب الأحداث في الرّواية أثناء وبعد الحراك الشعبي ؟

– ما هي الانعكاسات الاجتماعية التي أفرزتها هذه الأحداث والصراعات في الرواية ؟

– ما هي الملامح التي تميّزت بها الشخصيات في الرواية ؟

_ ماهي الأصداء التي أثارتها الرواية من بعد صدورها في المكتبات ولدى القُرّاء والنُقّاد ؟

وللإجابة عن كلّ هاته التساؤلات والإشكاليات لابُدّ من رسم خُطّة مُحكمة تستوفي هذا الكمّ الهّائل من الأسئِلة فجاءت عبارة عن مُقدّمة وفصلين متواضعين وخاتمة

ولا يخلوا أيّ بحث من الصّعوبات، فقد واجهتني عدة عراقيل وصعوبات، منها صعوبة الدّراسة التطبيقية في الرّواية، وندرة المصادر والمراجع الخاصة بالرواية، ناهيك عن قلة المعلومات عن الرواية نظرا لحداثتها، وكذا طول الرواية وتشعّب المواضيع التي تناولتها دون أن ننسا ضيق الوقت الذين داهمني إلاّ أنّني استطعت بعون الله أن أتجاوز كل هذه العثرات وفي الأخير، نحمد الله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه والصلاة والسلام على نبينا محمد صل الله عليه وسلم

الفصل الاول:
بين المنهج الاجتماعي وأدب السجون

<u>دراسة نظرية حول مفاهيم البحث</u>

1- (قراءة في المنهج الاجتماعي)

1-1ماهية المنهج الاجتماعي

1-2:خصائص المنهج الاجتماعي

1-3:قواعد المنهج الاجتماعي

2-: (النقد الاجتماعي في الرواية الجزائرية)

2-1:قراءة في الرّواية الجزائرية

2-2:الأبعاد الاجتماعية للشخصية الروائية

3-:(نظرة عن أدب السّجون في الجزائر)

3-1: أدب السّجون

1_: قراءة في المنهج الاجتماعي

1_1ماهية المنهج الاجتماعي

يعيش النّاس في هذا العالم ضمن مجتمعات مختلفة، فكلّ مجتمع يتميّز عن غيره من المجتمعات ويعيش أفراده وفق ما هو متعارف عليه، فيلجأ إلى الرواية التي تترجم أحاسيسه ومشاعره، ويطرح فيها أفكاره المختلفة، وذلك بالتقاط الصور الحيّة، والنماذج التي تشخص فيها أحواله، فتتجسّد هذه المعاناة في روح الكاتب الروائي من خلال أفكاره، فالرواية أحيانا ترتكز على ما هو حقيقي ناجم من رحم المجتمع والواقع المُعاش، وبالتّالي فهي المرآة العاكسة التي تُصوِّر كل ما هو حقيقي، إنّ البّعد الاجتماعي عند النّاقد محمد سعيد فرح هو: "مجموعة من العلاقات المتبادلة بين الناس الّذين يعيشون في مجتمع محلي " [1]، فهو تلك العلاقات التي تربط فئات الشعب، وهناك من النّقاد من يؤكّد على اجتماعية الرواية، وهو ما عبّر عنه محمد كامل الخطيب عنما اعتبرها " نمط اجتماعي آخر للمجتمع والواقع، فللخيال أسُسُه الواقعية، أي أنّه يستند إلى الواقع وبمواد الواقع، وفي كل الأحوال فإنّ الخيال الّذي ينسج شبكة العلاقات الروائية ليس خارجا الواقع، وهذا الأساس الواقعي للخيال أو أساس الواقع للرواية باعتباره خيالاً"[2]، والبعد الاجتماعي يرتبط بشكل أساسي بالطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها شخصيات الرواية، والّتي هي في الغالب الطّبقة الكادحة والفقيرة والمهمشة، كذلك يرتبط هذا البّعد بالمستوى التعليمي والثقافي، وكذلك يهتم بالظروف المعيشية والحالة الزوجية لشخصيات الرواية، وحالات الحب المتبادلة بينهم، فالمنهج يقوم على دراسة الأدب وظواهره من منظور اجتماعي، باعتبار أنّ الأدب هو صورة للواقع الإنساني، والحياة الاجتماعية وصراعاتها وخباياها "يرى بعض النقّاد المعاصرين أنّ نشأة المنهج الاجتماعي ارتبطت بالفلسفة الواقعية في العصور الحديثة ودعوتها إلى اتّجاه الفن إلى الواقع الاجتماعي بنوع خاص "[3]

1- محمد سعيد فرح، ما علم الاجتماع، منشأ المعارف، الاسكندرية 2012 ص92

2-محمد كامل الخطيب، الرواية والواقع، دار الحداثة، بيروت لبنان، 1981 ص 110

3_عثمان موافي، مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية مصر 2008 ص75

ومنه فإنّ الاعتماد على هذا المنهج في تحليل النصوص الروائية لا يكون إلا بتسليطنا الضوء على كل ما له علاقة بأحداث الرّواية وانعكاساتها من الواقع المُعاش

إنّ النّقد في المنهج الاجتماعية عمَلَ على كشف الواقع الحقيقي للأعمال الأدبية، وكان ظهوره في البداية عند الغرب، ولُوحِظ ذلك في أغلب أعملهم النثرية والشعرية، كما يجب أن نعرف أنّ العلاقة بين المجتمع والأدب، لا تلغي الخصائص الفنية والجمالية للرواية، ولذلك يبقى الأدب الركيزة الأساسية التي يعتمد عليها المنهج الاجتماعي، فكانت علاقتهما علاقة سامية وراقية، ويُعرِّف صالح هويدي المنهج الاجتماعي على أنّه :"منهج يربط بين الأدب والمجتمع بطبيعته المختلفة، فيكون الأدب ممثّلاً للحياة على المستوى الجماعي والفردي، باعتبار أنّ المجتمع هو المنتج الفعلي للأعمال الإبداعية، فالقارئ حاضر في ذهن الأديب وهو وسيلته وغايته في آن واحد "[1] ، وعلى هذا الأساس نقول أنّ النّصوص الأدبية مرتبطة بكل المعطيات الاجتماعية التي يمليها الواقع المُعاش، وهناك من يرى أنّ المنهج الاجتماعي " هو منهج نقدي يُعني بدراسة المجتمع ويتبع الأعمال الأدبية التي تصور الواقع .....ويُعد هذا الأدب الشرعية النظرية الواقعية " [2]، وهنا نقف على أنّ المنهج الاجتماعي ينشئ صلة بين النّص الأدبي الروائي خاصة، والمجتمع الذي ترعرع فيه الأديب الروائي، فهو يُعبِّر عن الآفات الاجتماعية التي يعيشها، وبالتّالي فإنّ النّص الأدبي هو انعكاس للواقع وأنّ " الأدب ظاهرة اجتماعية، وأنّ الأديب لا ينتج أدبا لنفسه، وإنّما يُنتجه لمجتمعه منذ اللّحظة التي يفكّر فيها بالكتابة وإلى أن يمارسها وينتهي منها " [3] فالعلاقة بين النّص الادبي أو الروائي و المجتمع هي علاقة واضحة تتميز بالتأثّر والتأثير وكذلك هي علاقة حتمية فلا الأدب بمعزل عن المحيط الاجتماعي ولا المجتمع يتفرّد عن الكتابة الأدبية

1_صالح هويدي، النقد الأدبي الحديث قضاياه ومناهجه، منشورات جامعة السابع أفريل ط1 2005 ص95

2_سامي يوسف بوزيد، تنوص النص الأدبي، دار ميسرة للنشر والتوزيع ،الأردن ، ط1 ،2012 ص47

3_بسّام قطّوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية ط1 2006 ص65

ويقول صلاح فضل عن النّقد الاجتماعي هو "الذي يتعلق بالدّراسة الأدبية وبطريقة معالجة القضايا، والنظر في مظاهر الإبداع الأدبي بأشكالها وتحاليلها " [1] ، أي أنّ المجتمع هو الّذي يؤثّر في الأدب فيدفعه إلى الإنتاج الروائي، ومنه يُعتبر المنهج الاجتماعي أساس الدّراسات النقدية الأدبية، فالأديب يُقدِّم رسالة لمجتمعه من خلال تصويره له

وكان هناك رأي آخر يقول "هو منهج يقوم أساساً على الموضوعية في البحث والاعتدال في الحكم واحترام شخصية الكاتب، ومواقفه الفنية والايديولوجية "[2]، فهذا الرأي يشرح لنا كيفية عمل المنهج الاجتماعي، فهو يقوم على الموضوعية في البحث واحترام ظروف الكاتب، ويرى أحمد قيصر وهو أحد رواد علم الاجتماع أنّ المنهج الاجتماعي كان تابعًا لعلم الاجتماع فيقول: "علم يدل على معالجة النظرية الاجتماعية بوصفها علما خاصاً بهِ، له موضوعه الخاص وإطاره التصويري ومنهجه الخاص "[3]، لذا فهذا المنهج يُعطي للكاتب الحرية المطلقة كونه تابعا لعلم الاجتماع الذي هو قائم بذاته من كل النواحي، وهو ذلك المنهج النقدي الذي يقوم بتحليل وتأويل النصوص الإبداعية من منظور نقدي، بمعنى أنّه يتعامل مع الظاهرة الأدبية الروائية كظواهر وآفات اجتماعية، وإظهار الصّلة بين النّصوص الروائية، والمحيط الاجتماعي الذي يسود فيه أفراد المجتمع، وهذا يعني أنّ العلاقة ليست من جانب واحد، وإنّما هي علاقة تكاملية (علاقة تأثّر و تأثير)

1_صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، دار الآفاق العربية القاهرة ط1 1996 ص8

2_محمد مصايف،الروية العربية الجزائرية، بين الواقع والالتزام، الشركة الوطنية للنشر والتزيع ط1 1983 ص5

3_أحمد قيصر، منهجية علم الاجتماع بين الماركسية والوظيفة البنيوية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ط2 2006 ص15

يُركّز أيضًا هذا المنهج حول التراث الشعبي، والعادات والتقاليد والحالات الدّينية، وكذا التوجهات السياسية، حيث تُشكّل هذه الظروف الاجتماعية في الرواية، عاملاً أساسيًا في كيفية تصُّرف الشخصيات في الرواية، وعند الحديث عن دراسة الجوانب الاجتماعية في رواية ما، لابدّ من رصد مجموعة من الظواهر الاجتماعية المتعلقة بها، كتفّشي الفقر والسرقة والاغتيالات والمتاجرة بالمخدرات وتهريب الأسلحة وتغيير نظام الحكم السياسي ...الخ، ناهيك عن ظواهر أخرى كالخيانة والنفاق والدّعارة، فوظيفة الروائي عند الكتابة عن المجتمع ليست تصويره تصويرًا للواقع، بل يكتب عن القيم الاجتماعية، ولكنها وفق موقفه من هذا الواقع، وهذا الموقف لا يقوم إلا بتحويل المستحيل والمستبعد في المجتمع إلى واقع قابل للتصديق "الرواية ليست تجسيدًا يمكن أنُ يّتخذ إلا بإعادة إنتاج الصراع الواقعي والإيديولوجي في النّص "[1]

فالبّعد الاجتماعي يطالُ فيه الأديب إلى تصوير العادات والتقاليد القائمة بين الناس من مختلف الوجوه، وإبراز الاتجاهات النامية أو المنظومة من المفاهيم وعلى التحولات الجذرية في مجرى الحياة "[2]، بحيث يأتي أدبه الروائي شاهدًا للواقع

ومنه نخلص إلى أنّ العلاقة بين الرواية والواقع الاجتماعي هي علاقة متبادلة، كون الأديب ابن بيئته وعلاقته بالحياة الاجتماعية معتمدا على خياله، فالرواية هي المرآه العاكسة لمختلف القّيم الاجتماعية، والتطّور الهائل والتحّول الجذري الذي حدث مع المجتمع الجزائري، والتطوّرات تبعًا ملحوظًا، وقد عرفت الرّواية الجزائرية خلال العقدين الأخيرين تطوّرًا ملحوظاً

1_حميد الحميداني،النقد الروائي والإيديولوجي. المركز العربي، بيروت لبنان .ط1 1990ص51

2_داود عطاشة حسين راضي، قضايا النقد العربي قديمها وحديثها، الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع الأردن ط2 1952 ص139

ويرى أحمد مدور أنّ :"الأدب شكل من أشكال النشاط الاجتماعي والوعي الثقافي والسياسي، ويتمثل هذا التطّور في انفعال الأديب، وتفاعله بمحيطه الذي يعيش فيه ومحاولته الدّؤوبة في فهمه والتعبير عنه"[1]

وقد اتّضحت معالم هذا المنهج الاجتماعي من خلال كتابات النّاقد محمد مصاييف، الذي كانت له إسهامات عديدة فقد انصبّت دراساته النقدية على الأعمال الروائية التي اتّخذت القضايا الوطنية والقومية شعارًا لها " ويتعّد ذلك إلى تشخيص ما يضطرب في نفسية الجماهير وتحديد الخط الذي تسير فيه هذه الجماهير نحو مستقبل أفضل مما يضطرب الأديب إلى الإلحاح بصورة خاصّة على الصّراع الطّبقي وإلى التركيز على القّوى الحيّة في هذا الصّراع "[2]

1_2خصائص المنهج الاجتماعي

لا يعلّمنا المنهج الاجتماعي قراءة النّصوص فقط، بل يعيننا ويفتح أعيننا على قراءة حياتنا وعلاقاتنا بالعالم من حولنا، وبالإضافة إلى ذلك يحمي النصوص الأدبية من التلاشي، بل ويعطيها قيمة إضافية وكذلك يجعل للأديب الروائي مكانة عظيمة في الوسط الاجتماعي نظراً لِما تناوله من هموم الشعب، وقدّم قضاياه من السّر للعلن وكذا هو يبرز مدى قوة الأديب و عظم شخصيته، لأن هدفه هو التأثر والتأثير في المجتمع وكذلك من مزاياه وخصائصه هو بلاغة اللغة الخطابية في الأسلوب الموجّه، ولا ننسى المتعة الجمالية والفنية "فالأدب رسالة فنية وأهدافه إنسانية أخلاقية" [3] ، والمنهج الاجتماعي يرى الأدب في المجتمع ويمكن أن يدرس المجتمع من خلال ثلث خطوات: _المجتمع الواقعي حيث ظهر الكاتب وحيث أنتج عمله _المجتمع الذي ينعكس مثاليا في نطاق العمل نفسه _وأخيرا قد يكون أدب العادات سياسيا أو هاجيا أو أخلاقيا أو خطة إصلاح اجتماعي، فهذه جملة من السمات والخصائص التي تميّز العلاقة بين الأدب والمجتمع أو المنهج الاجتماعي في تحليل النصوص الأدبية

1_أحمد منور، قراءات في القصة الجزائرية، مكتبة الشعب الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981 ص07

2_محمد مصاييف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، ط2المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984 ص23

3_ شكري عزيز ماضي، في نظرية الأدب، دار الفاس للنشر والتوزيع، عمان ط1 2005 ص36

1_3:مبادئ المنهج الاجتماعي

يقوم المنهج الاجتماعي على جملة من المبادئ أهمها "وهي تُحدّد العلاقات الاجتماعية وكذا الاقتصادية والثقافية في المجتمع "[1] تتكوّن البّنية الاجتماعية من بنيتَين : بنية دنيا وبنية عليا، وهي التي يقصد بها الأنظمة السياسية والثقافية، وهذه البنية عادة نتاج البنية الدنيا في المجتمع، فكل ظاهرة من ظواهره هي ظاهرة مادية تحتها ظروف اقتصادية تدفع إلى الكفاح، من أجل الحياة ماديًا، وربط الأدب بالمجتمع والنظر إليه على أنّه لِسان المجتمع، والأدب هو صورة العصر والمجتمع،و الأعمال الأدبية هي وثائق تاريخية واجتماعية

يدرس المنهج الاجتماعي تأثير الجماعات والأفراد والشخصيات في القيم الجمالية، ويعلي من قيمة الكاتب، ويرى أنّ عمله نابع من ذات المجتمع، "فالأدب يؤثر في المجتمع ويتأثر به ورؤيته تتكّون بتأثير المجتمع، وصراعاته ربط المنهج الاجتماعي بالجماهير فجعلها هدف مباشر في الخطابة، وكان من أكبر المذاهب التي تبّنت المنهج الاجتماعي النقدي الماركسي والواقعية النقدية والنموذج الشكلي التكويني "[2]، فالحياة الاجتماعية ذات وجهين سياسي وثقافي تحّدد علاقة المجتمع بفكره ومحيطه السياسي، فكذلك الأدب ذو مبادئ عليا، فيقوم المنهج الاجتماعي على جملة من القواعد والمنطلقات نلخصها في ما يلي:

_ربط الأدب بالمجتمع والنظر إليه على أنه لسان المجتمع والمُعبّر عن الحياة فيه

_ الأدب جزء من النظام الاجتماعي، وهو كسائر الفنون ظاهرة اجتماعية ووظيفة اجتماعية

_المنهج الاجتماعي يربط الأدب بالجماهير، فجعلها هدف خطابه

_ الأدب هو بناء المجتمع وهذا الأخير يعدّ مُحرّكا له فنقطة التأثير والتأثّر تعطي طابعا مميزا لكل منهما، فالدّراسة الاجتماعية مبنيّة على العلاقة بين الأدب والمجتمع فكلاهما يحتاج فهم الآخر

1_محمد صايل عثمان، قضايا النقد الحديث، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن 1991 ص21

2_ وليد قصّاب، مناهج النقد الأدبي الحديث رؤية إسلامية، دار الفكر دمشق سوريا ط1 2007 ص38

2:: النقد الاجتماعي في الرواية الجزائرية

2_1:نظرة في الرواية الجزائرية

يرتبط الحديث عن البدايات الأولى للرواية العربية الجزائرية إبّان الحقبة الاستعمارية، وقد ساهمت جملة من العوامل في قيام تلك النهضة أبرزها العوامل الاجتماعية والسياسية، ولكن "ظروف الثورة لم تكن لتسمح لهم بالمضي إلى آخر الشوط مع حركة التجديد الأدبية على حساب القّضية الأساسية التي هي الثورة ،فساد ذلك الطّابع المباشر، الذي أشرنا إليه في إنتاجهم "[1]، وتغلغل هذا الاتّجاه في الرواية الجزائرية وكانت البداية مع الروايات المكتوبة باللغة الفرنسية، فكان ذلك إيذاناً بتبَلْوُر اتّجاه أدبي يحمِل نُسُقًا جديدةٍ "واستمرّ ذلك مع جملة من الكتّاب حتى اندلاع الثورة التحريرية، ثم بعد الاستقلال على يد قافلة من الكتاب، محمد ديب، كاتب ياسين، ،مولود فرعون، آسيا جبار، مالك حدّاد، عبد الحميد هدوقة "[2]

وجاءت من النماذج الروائية لدينا رواية ريح الجنوب، والتي طرح فيها كاتبها قضية التفاوت الطبقي المجتمعي، وقام بالاقتراب من مشاكل الناس، سواء المشاكل التي خلفها المستعمر بعد الاستقلال أو التي فرضتها مرحلة البناء والتحولات الديمقراطية"[3] ، وقام بعدها الروائي الطّاهر وطّار بتشريحه للواقع الاجتماعي في "رواية عرس بغل"، في خضم التغيرات الاجتماعية والسياسية التي ترمي بظلالها على حقيقة الواقع الاجتماعي، وكان وعي الكتاب الروائيين يمدّون أهمية كبيرة للغاية بالنظر على أنّها عنصر أساسي في التغيير الفني، والوسيلة ضرورة من وسائل الفنون الرّوائية المختلفة ولذلك نراهم يثورون ضد الأسلوب الذي لا يؤدّي دوره في الفن [4]

1_عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، دار الغرب 2004 ص29

2_واسيني الأعرج، النزوع الواقعي الانتقادي في الرواية الجزائرية، اتحاد الكتاب العرب دمشق سوريا 1985 ص28

3_المرجع نفسه ص368

4_محمد مصاييف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ط2 1984 ، ص379

وعرفت الرّواية الجزائرية خلال العقدين الأخيرين تطوّرًا، "فالأدب شكل من أشكال النشاط الاجتماعي والوعي الثقافي والسياسي، ويتمثل هذا التطوّر في انفعال الأديب وتفاعله بمحيطه الذي يعيش فيه، ومحاولته الدؤوبة في فهمه والتعبير عنه"[1]

وقد اتّضحت معالم هذا المنهج الاجتماعي في الخطابات الرّوائية الجزائرية من خلال كتابات النّاقد محمد مصاييف، الّذي كانت له إسهامات عديدة فقد انصّبت دراساته النقدية على الأعمال الروائية التي اتّخذت القضايا الوطنية والقومية شعارًا لها، "ويتعّد ذلك إلى تشخيص ما يضطرب في نفسية الجماهير، وتحديد الخط الّذي تسير فيه هذه الجماهير نحو مستقبل أفضل، ممّا يضطرب الأديب إلى الإلحاح بصورة خاصّة على الصّراع الطبقي، وإلى التركيز على القّوى الحية في هذا الصراع "[2]

وهذه النّصوص بقدر ما تستلهم موضوع وعائها من الواقع الاجتماعي، فإنّها تعمد إلى الرّمز في خطابها، حيث تطغى عليها الدّلالة والإيحاء أكثر من الإعلان والإبانة، فيتراوح الواقع والمتخيل، "وتلجأ هذه الرّوايات إلى الرموز من أجل وصف هشاشة وفساد الواقع السّياسي ونقده وكشفه للناس خوفا من المضايقات السياسية، أو رهبة من السلطة الحاكمة، فمثلا رواية زمن النمرود للحبيب سائح عند ظهورها أثارت ضجّة سياسية إعلامية، لأنّها عبّرت عن الواقع وأزماته ومشاكله سواء كان هذا الواقع سياسي أو غيره" [3]

فنلاحظ من خلال هذه الظروف المحيطة بالكتابة الأدبية، حجم المعاناة التي عطّلت بازدهار الفن الروائي، وتبيّن لنا العلاقة بين الكتابة الروائية وعلاقتها بالوضع الاجتماعي والسياسي

1_أحمد منور، قراءات في القصة الجزائرية،مكتبة دار الشعب الجزائر 1981 ص07

2_محمد مصاييف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ط2 1984 ص239

3_فاطمة قاسمي، الوعي الوطني في الرواية الجزائرية المعاصرة، دار الأوطان للطباعة و النشر، سيدي موسى الجزائر دط 2011 ص22

وجاءت الاضطرابات السّياسية الأخيرة والتي تُسمَّى مجازًا ب"الحراك الشعبي " تعبيراً عن المجتمع الذي عاش خِذلانا سياسيا واجتماعيا في الحقبة الأخيرة، لذلك اشتغلت الرواية المعاصرة بالتركيز على المجتمع في بنيته الدّاخلية، فعلاقة الرواية بالواقع ومهمتها بتغيير التصدُّعات السياسية والاجتماعية، مثار بحث عميق وجدل قديم في شكلها ومضمونها

يقول جان بيلمان نوبل :"إنَّ الأدب يُقدّم وجهة نظر حول واقع الانسان ووسطه، وحول الكيفية التي يُدرك بها الإنسان هذا الوسط، والروابط التي يقيم معه، وإنّ ما لا يمكن تحقيق الإدراك فيه عبر الحس، يُمكن تتبّع تأثيراته عبر الحدس "[1]، ويقول شوقي ضيف: "إنّ الأدب في حقيقته إنّما هو تعبير عن المجتمع وكل ما يجري فيه من نظم وعقائد وأفكار "[2]

تُمثل الرواية مواقف وأفعال اجتماعية وتاريخية، لذلك لا غرابة أن نجد روايات تتبّأت وتحدّثت عن الأحداث السياسة التي واكبت الانتفاضة الشعبية الثائرة على النّظام الحاكم الفاسد الذي جرّ البِلاد إلى الهاوية، وقد أشارت الناقدة "سلمى جيوسي" أنّ هناك قضيتين أساسِيتين انعكسَتَا على أغلب انتاج الأدب العربي من المحيط إلى الخليج، وهما القهر السياسي والظلم الاجتماعي [3]، فلذلك نجد أنّ هذا القهر السياسي أدّى إلى انفجار الشعب الذي كان بعضه خارجًا ليبحث عن حلمه بالحرية والحياة الكريمة، فبدأت الصراعات والاعتقالات والقمع الشعبي فمن خلال نماذج الروايات المعاصرة، يمكن التأكيد على الخطاب الروائي بكوْنه سياسياً محضاً نظراً للأزمة السياسية والاجتماعية، ولذلك من خلال قراءة الشخصيات والصّراعات الموجودة في كل رواية

1_جان بيلمان نوبل، التحليل النفسي والأدب، ترجمة وتحقيق حسن المودن، المجلس الأعلى للثقافة ط1 القاهرة 1997 الفصل الأول ص09.

2_شوقي ضيف، البحث الأدبي طبيعته أصوله مصادره، مكتبة الدراسات الأدبية دار المعارف ط6 2008 ص 113

3_سلمى الجيوسي، البطل في الأدب العربي المعاصر الشخصية البطولية، نوفمبر 1977 ص4

وقد وجدنا تعريفًا للرواية السياسية على أنّها تلك التي تهتم بالقضايا السياسية أكثر، سواء بلغة مباشرة أو غير مباشرة، ومن المستحسن أن يكون للكاتب الروائي وجهة نظر سياسية من خلال توجهه الايديولوجي [1] ،فنجد أيضا النّاقد سيد حامد النساج يُعرّفها بقوله: "رواية نقد ومعارضة واحتجاج وهي رواية ضد السّلطة أيّاً كان شكلها، وهي رواية تحرّر شامل مادتها ومعاناة لموضوعات السلطة للوطن والانتماء السياسي " [2]، فهي التي تكشف لنا الواقع المزري وترصد لنا الصّراع بين الحكام والمحكومين، وتكشف لنا المستور من ظلم وقهر سلطوي فالهدف من الرواية السياسية إيقاظ وعي الشعب، وتحفيز الجماهير على التمرّد على الاحتلال الأجنبي أو ضد الحاكم المستبد وقد أبلغ الأدباء في هذا النوع من الرواية السياسية، وقدّموا كثيرا من الأعمال التي لا تزال خالدة حتى اليوم، من أهم الإبداعات الأدبية التي تركت أثرا في المجتمع، وممّا لا شكّ فيه أنّ العلاقة بين الرواية التي هي ملحمة العصر الحديث وعلاقتها بالأوضاع الراهنة، هي علاقة واضحة المعالم، فالرواية أيّاً كان شكلها الفني إنّما هي تعبير عن رغبات الشعب ،فاستلزمت علاقة التأثر والتأثير بين الأعمال بين الخطابات الروائية والواقع المُعاش

فأصبح الرّواية بوصفها سردا تمتلك قدرات قُدُرات فنية هائلة، تمكّنها من احتواء مشاكل المجتمع والأفراد والصراع الايديولوجي :" وشكل الرواية ومضمونها مستمدّان من الظواهر الاجتماعية بشكل مباشر أكثر مما هو الحال مع الفنون الأخرى [3] قد اقتربت الرّواية الجزائرية من المشاكل الاجتماعية بكل امتداداتها المختلفة، وبحثت فنياً في حضورها السياسي، ضمن أفق السرد الواقعي كما حضر الطّرح الإيديولوجي بأبعاد دلالية، تكون رمزية في الغالب وتقرأ في السرد الجديد الشأن المجتمعي الجزائري، أي الصّدام مع رؤية السّلطة السياسية، وإنّما تودّ الفكري الاجتماعي هو صور المتغيرات التي أصابت الوطن [4]

1_واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية في الجزائر بحث في الأصول التاريخية والجمالية في الرواية، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر دط 1986 ص45

2_سيد حامد النسّاج، بانوراما الرواية العربية، دار غريب القاهرة مصر ط1 1980 ص233

3_هديل عبد الرزاق، أحمد الرواية النسوية خارج فضاءات الوطن، 2007 ط1 ص29

4_عبد الوهاب شعلان، الخلفيات السوسيوثقافية للخطاب الروائي الجديد في الجزائر، مجلة التواصل في اللغات والآداب، العدد 41 ،جامعة باجي مختار، عنابة، مارس 2015 ،ص137

تعتبر الرّواية "الأكثر اتّصالا بواقع المجتمع والأكثر قابلية التعبير عنه، وإذا كان تعُّقد الظاهرة الروائية يحول دون اعتبار هذه الأخيرة مُجرّد انعكاس للواقع، فإنّ الكثير من خصائصها وثيقة الارتباط بهذا الواقع الذي يتميز بدوره بالتعقيد والثراء[1]

إن السرد الروائي لا يعكس الواقع الاجتماعي والثقافي والسياسي بمجتمع من المجتمعات بقدر ما يصنعه، فالأعمال الأدبية هي صورة تمثيلية لهذا المجتمع، ويكمن ذلك في الاهتمام بمعالجة مختلف قضاياه، ولا تكون هاته الصورة مجرد تصوير جامد يجمع الحقائق والمعلومات، بل هو طول يتم على الإبداع بواسطة اللغة والأسلوب، فاللغة هي من تصنع تلك الجمالية في نقل فالرواية الجزائرية عبرت وبعمق عن واقعنا، [2]،.وتصوير مختلف القضايا الأساسية المجتمعية وبالأحرى عبرت عن مجتمعنا وقضاياه المختلفة، فهي منذ نشأتها إلى تطوّرها عايشت الواقع المجتمعي بكل تطوراته وتغيراته، والروائي من خلال ذلك لم يكن «دوره تغيير الواقع... بل يكمن دوره في التعبير عن هذا الواقع... ونقده بصورة تمثيلية عنه يمكنها أن نصوغ قضاياه..."[3] فالرواية الجزائرية منذ وهلتها الأولى كانت عبارة عنَ تصُّورات وتمثّلات للواقع الاجتماعي والسّياسي والأخلاقي، وهذا ما ساغته رواية 'نزلاء الحّراش' فقد شكلت أحداثها حجر الزاوية فحملت الرّواية أبعادًا كثيرة للبحث عن الذات والهوية، فعالجت الأوضاع السّائدة في البلاد قُبَيل وبعد الحراك للحراك الشعبي، وقد صّورت مختلف المشاهد للشعب الثائر على الرئيس المخلوع وقامت بالكشف عن المجرمين السياسيين والزجّ بهم في السجن "وتلجأ هذه الروايات إلى استعمال الرموز من أجل وصف الواقع أو نقده أو كشفه خوفًا من المضايقات السياسية ،أو رهبة من السلطة السياسية ،فرواية زمن النمرود عند صدورها أثارت ضجة سياسية وإعلامية ،لأنّها عّبرت عن الواقع وأزماته ومشاكله سَواءً كان هذا الواقع سياسي أو غيره " [4]

1_ابراهيم سعدي، دراسات ومقالات في الرواية، منشورات السهل، الجزائر،دط 2001 ص58

2_ صالح بشرى موسى، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، ط1 ،المركز الثقافي العربي، بيروت،1994 ص75

3_ تيسير مفتي، مقالة أزمة تمثيل المجتمع في الرواية الجزائرية (الجمهورية يوم 11 أفريل 2016)

2_فاطمة قاسمي، الوعي الوطني في الرواية الجزائرية المعاصرة، دار الأوطان للطباعة والنشر، سيدي موسى الجزائر، دط 2011 ،ص22

وهنا نرى حجم المضايقات والضغوطات التي عانى منها الروائيون وبالأخصّ الحبيب سائح الذي كانَ جريئًا جدًا في جُلّ رواياته، فتحوّل المجتمع الجزائري على الصعيد السياسي والاجتماعي، تمثّل في الانتخابات البلدية التي نظّمت في غضون 1978 م، مدار لرواية "زمن النمرود" فالرواية تُصوّر أزمة ديمقراطية في جزائر الاستقلال خلال سردها لخفايا الانتخابات البلدية وأطوارها في مدينة سعيدة موطن الكاتب، نموذجا لشتّى المدن فهذه الرواية تستمد مصدر قوتها من استحضار لهذا التاريخ الحيّ للجزائر في السبعينات، وهي تنجز ذلك بكثير من الجرأة غير منتهية من العواقب "[1]، وهذا بغضّ النظر عن العمق الاجتماعي والتهميش والمستضعفين وكيف استطاع الروائي إسماع صوت المقهورين والمهمشين، ولعلّ عاملي الرقابة السياسية والتهميش الاجتماعي، هما أهمّ قوة الدّفع لدى الروائيين، وخاصّة في فترة التسعينات فقد أكّد حسين خميري " وما تردّد في رواية التسعينات تصوير وضعية المثقف الذي وجد نفسه سجينا بين نار السلطة وجحيم الارهاب، وسواء كان أستاذا أم كاتبا أم صحفيا أم رساما أم موظفا فإنّهم يشتركون جميعا في المطاردة والتخفي ويشعرون دوما أنّ الموت يلاحقهم "[2] أما في بداية الألفية الثالثة فلقد توسّعت التجربتين الروائيتين لكل من" الحبيب السائح وعزالدين ميهوبي" مثلا لرواية كالمنظّمة تنطوي في فن الجزئيات أو كالفسيفساء التي تتيح لها الزوايا المختلفة مظهرا جديدا، وتعبت فيها حياة تستنطق به اللّون "[3]، وفي هذا الصّدد لا يسعنا إلاّ أن نقول: "أنّ الرّواية سواء في أشكالها الفنية أو غير الفنية، ظلت عبر العصور مرتبطة بمعالجة الواقع الاجتماعي[4] فالرّواية الاجتماعية موجّهة لعامة الناس بمحتلف أصنافهم سواءا المثقفين أو غيرهم، فالأديب مطالب بتقديم الحلول عن طريق استخدامه لأبطال إيجابيين يجدون الحلول اللازمة

1__بوشوشة بن جمعة، اتجاهات الرواية في المغرب العربي، المغاربية للطباعة والنشر والاشهار، تونس 1999 ص228 229

2_حسين خميري، فضاء المتخيل مقاربات في الرواية، منشورات الاختلاف، الجزائر ط1 2002 ص191

3_البيريس ، ر.م، تاريخ الرواية الحديثة، ترجمة جورج سالم، منشورات بحر المتوسط عويدات بيروت لبنان ط2 1982 ص6

4_محمد الخطيب، الرواية والواقع، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ط1 1988 ص42

2_2:الأبعاد الاجتماعية للشخصية الروائية

وبات التَطُّرق إلى الجانب الاجتماعي للشخصية الروائية موضوع تتقاسم وتشترك فيه علوم مختلفة، أهمها علم الاجتماع، "وهو يهتم بدراسة الشخصية الإنسانية من حيث أنّها نِتاج الحضارة أو ثقافة معينة تشمل على أنساق أو أنظمة اجتماعية، وتنظيمات كالزواج والأسرة والدّين والنّظم السياسية والقانونية وغيرها "[1] ، وهو الشيء نفسه الذي حملته شخصيات هذه الرواية من علاقات وروابط اجتماعية وفكرية

وتُعتبر الشّخصية عند علماء الاجتماع على أنّها الأسُس الجوهرية التي تقيم الحقائق والوقائع الاجتماعية، وهذا ما تبّين في تعريف بيَساتر: "الشخصية تقوم على أساس من عادات الشخص وسماته وهي تنبثق من العوامل البيولوجية والاجتماعية والثقافية، ويعني بالتنظيم تكامل العادات والاتجاهات والسمات "[2]، ومنه نفهم أنّ للشّخصية الرّوائية أبعاداً كثيرة فهي تتأثّر بعوامل المجتمع وتؤثر فيه، سواءً كان التأثير اجتماعيا أو دينيا أو طائفيًا

ويبرُز البُعد الاجتماعي في شخصيات نزلاء الحراش من خلال الصّراع الدّائر في أحداث الرّواية بين الشخصيات الرئيسية والثانوية وبين الطبقات والفئات الاجتماعية، فرسمت لنا صورة دقيقة لما عكسه الواقع المُعاش نتيجة ما خلّفتهُ أزمة الحراك الشعبي، فالشخصية من بين الأركان الأساسية في الرّواية فهي العنصر الفاعل الذي يساهم في الحدث الاجتماعي، ويؤثّر فيه "فالشخصية هي أهمّ أداة يختلقها الرّوائي ويُلبسها مجموعة من الصّفات والمميّزات تعبّر عن فكرة أو الفكرة السابقة في المجتمع "[3]

1_عبد المعطي سيد، التناقض الوجداني للشخصية العربية المعاصرة، دار الحوار للنشر والتوزيع ،سوريا ط1 1992 ص8

2_سامية حسن الساعاتي، الثقافة والشخصية، دار النهضة العربية للطبع والنشر، بيروت دط 1983 ص119

3_يمينة براهيمي، بنية الشخصية في الرواية الجزائرية المترجمة، مجلة العلوم الانسانية، المركز الجامعي علي كافي تندوف الجزائر ع1 المجلد 05 2021 ص61

3_: أدب السّجون

3_1:أدب السّجون

كان من خلال تعقبنا لمعاني ومفاهيم السّجون ما ورد في الموجز في علم الإجرام والعقاب حين يقول صاحبه: " يُقصد بالسّجون تلك المؤسّسات المُعدّة خصّيصاً لاستقبال المحكوم عليه بعقوبات مقيّدة للحرية " [1] ، وقد أورد محمد حور تعريفاً في كتاب القبض على الجمر حين يقول :" يُعدّ السّجن مظهرا من مظاهر العقاب للمرء على ذنب اقترفه أو خطأ وقع فيه أو جرم ارتكبه، سوغه القانون وأقرّه المجتمع إلاّ أنّ السّجن لونا من ألوان الظلم للإنسان إذا نتج عن موقف حرّ وقفه بكلمة حق قيلت لسلطان جائر " [2] ، فالأدب الموجّه للسجناء هو كتابة عن السّجون وشهاداتهم واعترافاتهم، ودراسة أدب السّجون يساعد على "رصد مشاعر السّجين بسبب فقدانه حريته الطبيعية " [3]

انتشر أدب السّجون في كل الثقافات واللغات والأزمنة، فعبّر أصحابه عن حقيقة قاسية داخل أسوار السجن باعتبار هذا السجن على حدّ تعبير أحد النقاد :" هذا الابتكار البشري الذي هو إقصاء للحرية ونفي للديمومة الفاعلة وتقزيم للكينونة الانسانية وتكريس للاإنساني بالمنطق " فظهر أدب السجون شعرا ومسرحا، ولكن الأكثر تأثيرا كانت الرواية، فقد عرف الأدب الروائي تجارب عالمية مهمّة في هذا المجال من أهمّها رواية "دون كيخوت" لسيرفونتاس سنة 1605 أما بالنسبة للرّواية العربية السّجنية وجدنا روايتي شرف لصنع الله ابراهيم صوّرت ملامح الاستبداد والانتهاكات في النظام المصري وسجون عبد الناصر، وكذا رواية مذكراتي في سجن النساء لنوال السعداوي، فقد ظهر أدب السُّجون بعِدّة أشكال، شعراً ومسرحاً ومذكّرات ويوميات ولكن أكثرهم تأثيراً كانت الرواية

1_اسحاق ابراهيم منصور، الموجز في علم الإجرام والعقاب، ديوان المطبوعات الجامعية، ط3 الجزائر 1989 ص 163

2_محمد حور القبض على الجمر تجربة السجن في الشعر المعاصر، منشورات وزارة الثقافة عمان الأردن ص 07

3_واضح الصمد السجون وآثارها في الثقافة العربية من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر الأموي المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1 بيروت لبنان 1995م ص09

إذ يتعلّق أدب السّجون أساساً بالسّجن السّياسي، وكشف الفساد والزجّ بالسّياسيين الفاسدين بالسجن، وكانت هناك روايات مهمّة سجّلت معاناة المثقف من ويلات التعذيب في زنزانات السجن، أمّا الرّواية الجزائرية فقد مرّت بفترات مُهمّة فقد ركّز بعضهم على السّجن في الفترة الاستعمارية، وركّز بعضهم الآخر على السّجن في فترة ما بعد الاستقلال، وكانت روايات مهمّة سجّلت معاناة المظلومين والمسجونين من التعذيب في السّجن، وحاولت الرّواية السّجنية الجزائرية كشف نوع من الفساد الاجتماعي والسّياسي والثقافي، وبالتّالي الرّواية السّجنية تهدف إلى " ضرورة أن يدخل من هو خارج السّجن إلى السّجن لكي يعرف المرارة والعذاب، وهذا ما تحاول الرواية السِّجنية العالمية والعربية أن تورّط القارئ به، بمعنى تدخله في جوّها وتضيف عليها وتجعله يحسّ بمدى الإهانة والعذاب الذين يتعرّض لهما السّجين"[1]، وهذا هو هدف الكتابة الرّوائية الموجّة للسجناء، فكانت الكتابة الروائية هي السّبيل الوحيد الذي عبّر عن مآسي السجناء، وسجّلت اللحظات القّاسية التي عانى من السّجناء، وقد يكون السّجن رحمة وراحة من الأوضاع الموحشة خارج أسوار السّجن فقد قال الله تعالى لسان نبيه يوسف " قَالَ رَبِّ السِّجنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدَعُونَنِي إليهِ وَإِلاَّ تَصْرِف عَنِّي كَيْدَهُنّ أَصْبُوا إِلَيهِنَّ وَأَكُن مِنَ الجَّاهِلِين " [2]

واستخلاصا لما سبق يمكن القّول أنّ أدب السّجون فنّ أدبي قد يكون شعراً أو نثراً، يُعبّر من خلاله المسجون عمّا يخْتلَجُه داخل السّجن، سواء كان سياسيا أو تعبيراً عن مشاعر ذاتية، لكن ما يهمّنا في الدّراسة، هو الكتابة الرّوائية المعبّرة عن ظلم المسجونين أو الإطاحة بالنظام السياسي الفاسد، والزجّ بهِ في زنزانات السجن خاصة، وإن كان هذا السّجن هو سجن الحرّاش، الشّاهد على وحشية التعذيب الفرنسي للمجاهدين والمناضلين في الثورة التحريرية، وهذا ما حملته رواية نزلاء الحرّاش آخر أعمال الروائي الجزائري الحبيب السائح

1_عبد الرحمان منيف، الكاتب والمتلقي، المؤسّسة العربية للدّراسات والنشر والتوزيع، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء بيروت لبنان، ط3 2001 ص237

2_ سورة يوسف الآية رقم 33

الفصل الثاني:
الأبعاد الاجتماعية في رواية نزلاء الحراش

دراسة تطبيقية

1-:الظواهر الاجتماعية في الرواية

1-1 الجوانب الاجتماعية في الرواية

1-2 الآفات الاجتماعية في الرواية

1-3 الاغتصاب

1-4 الانحلال الأخلاقي

1-5 القتل والاغتيال

1-6 الربط بين السجن والسلطة

1-7 مرض الكورونا وانعكاساتها

1-8 سجن الحرّاش

2: اللّغة والشخصيات وأبعادها الاجتماعية

2-1 اللّغة في الرواية

2-2 الشخصيات وأبعادها الاجتماعية

2-3: الزمان والمكان والدّلالة الاجتماعية

توطِئة

بعد الانتهاء من الجانب النظري، ها أنا الآن بصدد التطرّق للجانب التطبيقي العملي، الّذي أسعى من خلاله تحليل أهمّ الظواهر والأبعاد الاجتماعية التي تعجُّ بها رواية نزلاء الحرّاش للحبيب السائح، والتي تُصنّف ضمن أدب السّجون أو السّجن السّياسي .

غير أنّ الحبيب السائح اختار مقاربة أخرى، ومعالجة مختلفة في روايته الأخيرة "نزلاء الحراش" وفيها جَمَع كل القّضايا الاجتماعية خلال الفترة الأخيرة، وكشف مِلفات الفساد التي تسبّبت في الانهيار الاقتصادي والاجتماعي الّذي عاشتْه الجزائر خلال عشرين سنة في جَوّ العصابات وتهريب الأموال والاغتيالات السياسية، ولهذا كان حَرِيٌّ بنا قراءة هذه الرّواية الرائعة التي قام بكتابتها الحبيب السائح، واستخراج أبعادها الاجتماعية وانعكاساتها في نفسية من يقرئُها ومدى قدرتها على مُعالجة الآفات الاجتماعية المنتشرة في المجتمع والحبيب سائح في روايته هذه إلى تسليط الضوء على الواقع الاجتماعي، بل تجاوزه إلى أكثر من ذلك فمزج بين الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للمجتمع الجزائري، فلم يتوقف عند هذا الحدّ، فعرض علينا الواقع المعيشي ومرارته، فمزج بين الخطاب الواقعي الاجتماعي والسّياسي، وذلك لطبيعة العلاقة التكاملية بين الجانبين، فكان حريٌّ بنا تسليط الضوء على كلّ صغيرة وكبيرة في ما يتعلّق بالجوانب الاجتماعية في الرواية.

1-1:الجوانب الاجتماعية في الرواية

ونجد من بين القضايا الاجتماعية التي صورتها الرّواية، القتل والسجن والاغتصاب وتردّي المستوى المعيشي للمجتمع، وهذا ما نلمِسُه في الرواية وتناولت الرواية جدلية المثقف وعلاقته بالسلطة، فتمثلت شخصية المثقف في هذه الرواية في كل من "فيصل ونبيلة" الذي كانا طالبين جامعيين وصحفيين في نفس الوقت،

وهنا سنورد بعض الشواهد من الرواية التي أتقنت التعبير عن قساوة وعنف الأزمة الاجتماعية، والنكسة التي أصابت الجزائر خلال وبعد حراك 2019

فعبّرت الرّواية الجزائرية وبعمق عن واقعنا الاجتماعي المعيشي، وبالأحرى عبّرت عن مجتمعنا وقضاياه المختلفة،

فهي منذ نشأتها الأولى إلى تطوّرها عايشت الواقع المجتمعي بكلّ تطوراته وتغيراته، والرّوائي من خلال ذلك لم يكن {دوره تغيير الواقع... بل يكمن دوره في التعبير عن هذا الواقع... ونقده بصورة . تمثيلية عنه يمكنها أن تصوغ قضاياه} "[1]

إنّ الظواهر الاجتماعية هي وليدة علاقات ومشاكل متشابكة، فالمجتمع تواجهه العديد من المشاكل الاجتماعية المتداخلة والمترابطة، وقد تكون الظاهرة الاجتماعية شكلا من أشكال العمل والتفكير والإحساس التي تسود المجتمع، فيجد الفرد نفسه مجبراً على إتّباع تلك السلوكات، وهذه المشاكل الاجتماعية مثل: الفساد والبطالة والجهل، الظلم، الفقر،الرشوة ...هي بالأصل ظواهر اجتماعية تحوّلت إلى مشاكل اجتماعية لأنها ذات طابع سلبي، وذات مردود سلبي على المجتمع ومن ثُمّ على الفرد نفسه، وهي بطريقة أو بأخرى تؤثر على السلوك الاجتماعي، جاءت رواية نزلاء الحرّاش كتجربة جديدة خاضها الروائي الحبيب السائح في مجال الكتابة الروائية المتعلقة بسرد السجون، وهو مجال لم تلتفت إليه الرّواية الجزائرية من قبل وِفْق هذا الطرح الذي تقدّمه الرواية، وهي تعالج الكثير من الجوانب الاجتماعية المتناسية في ظلّ المآسي المزرية التي تعيشها البلاد منذ سنوات التسعينات، وهي الإطاحة بالنظام السياسي الفاسد، ليصوّر لنا الروائي الحبيب سائح وقائع وأحداث غابت عن ذهن المواطن في صورتها الحقيقية مبراز مظاهر هشاشته والتي ثارت عليه الجماهير الشعبية لأنّه كان وطن بلا روح يسود مختلف صور الفساد، فتناولت عِدّة قضايا اجتماعية مثل :جرائم القتل واغتيال الأساتذة الجامعيين وكذا الزّنا والاغتصاب والانحرافات الأخلاقية والرشوة والسرقة ونهب الأموال، وكذا الصحافة ودورها في كشف خبايا الفساد السياسي، وهذه أهمّ المُعضِلات الاجتماعية التي تُؤرّق المجتمع الجزائري في ضِلّ غياب الوازع الديني والإصلاحي للمجتمع

1_ تيسير مفتي، مقالة أزمة تمثيل المجتمع في الرواية الجزائرية الجمهورية يوم 11أفريل 2016 د ص

1_2:الآفات الاجتماعية في الرواية

اهتمت الرواية الجزائرية بالقضايا الاجتماعية، والهموم الإنسانية، على مستوى الوطن والأمة، وأكثر ما اهتم به الرواة التركيز على الآفات الاجتماعية السائدة في المجتمع، ومن أبرز هذه الآفات الطلاق، التطرف، الجريمة، العنف، التهميش، الأمية، الهجرة، اليتم، الخمر، غياب الأمانة في المجتمع...الخ

وتُعرف الآفات الاجتماعية بأنّها مجموعة من السّلوكيات الانسانية التي تعود بالضّرر على الفرد والمجتمع، وغالباً ما تُصبح هذه الآفات الاجتماعية قضايا رأي عام بسبب تأثيرها على كافة أفراد المجتمع بمختلف الطرق، مِمّا يجعلها محور حديث كثير من النّاس، ويُوجد العديد من الأمثلة التي من خلالها يتّضح مفهوم هاته الآفات الاجتماعية التي تناولها الروائي الحبيب سائح في روايته "نزلاء الحرّاش" كالتدخين وتعاطي المخذّرات والحبوب المُهلوسة والمشروبات الكحولية والسرقة والإجرام والتحرش بالآخرين... الخ

كان مقتل الدّكتورة عالية ترغاس على يد مومن شتوري الذي كان تحت تأثير الحبوب المهلوسة أعطاها إيّاهُ صديقه، فأفقدته عقله ولم يتذكر شيئا ممّا فعله من الجريمة، فزُجَّ به في السجن، وتطوّرت الأحداث أكثر وأكثر، فالهدف الذي سعى إليه الحبيب السايح من وراء توظيفه هذه المشاهد، هو عكس الواقع الاجتماعي المُؤلم الذي نعيشه، وتصوير مدى تأثير المُخذّرات على المجتمع بارتفاع معدّلات الجرائم

ناهيك عن تأثير التدخين فلقد صوّرَ لنا الروائي الكثير من المشاهد مثل:" فضحكت .وأخرجت سيجارتها فأشعلتها فجذبت نفسا، مُسدلة رمشيها نشوة، ونفثت من مِنخريها ومن بين شفتيها، وكأنّها تعود إلى الحياة بعد إغماءة ثم وضعت القداحة من يديها وبراحتها "[1]

ونذكر هذا مشهد من بين الكثير من المشاهد الجريئة، الّتي جمعت بين فيصل ونبيلة والتي كانت لها أبعاداً سلبية في حياتهما، وما هيّ إلاّ تصويراً للواقع المعيشي

1_رواية نزلاء الحراش الحبيب سائح دار ضمة الجزائر و دار ميسكلياني تونس 2021 ص 115

1_3:الاغتصاب

يُعرف الاغتصاب على أنّه :"اتّصال رجل بامرأة اتصالاً جنسيا كاملاً دون رضاءا صحيح منها بذل، وعِلّة تجريمه أنّه اعتداء على العرض في أجسم صوره، فالجّاني يكره المجني على سلوك جنسي لم تتّجه بإرادتها فيصادر بذلك حرّيتها الجنسية" [1]، لقد تناول الرّوائي الحبيب السائح في روايته الكثير من السلوكيات المنحرفة والمرضية المنتشرة بين أفراد المجتمع الجزائري والّتي تُعبّر عن غياب التربية والأخلاق

وبرَز هذا البّعد في الرواية بشكل واضح وجَلّي، لأنّه يسعى إلى رصد حالة الشَباب المنحرف ففي الرواية نجد مومن شتوري الذي يُغتصب من طرف الشواذ في السّجن ويُصبح يُسمّى "عطوية" "عطوية رُدّي لصاحبنا صابونته"، ويصبح يتحدث بصوت مخنث وينعت بلفظ بذيئ 'نقش' [2] وقد سيطر عليه السجين المدعو فيكا تحت التهديد بقتله خنقا إن هو لم يمتثل له فاتخذه من يومها حريما [3]"وعليه، انتظر أن يُحرّش به أحد المساجين الشواذ لاغتصابه، مثلما هو السلوك الانتقامي عند بعض الحُرّاس حين يريدون إذلال أحد" [4] ، فالصّورة واضحة تماماً للوضع المُتعفّن داخل زنزانات السجن الحرّاشي الذي يحوي السجناء المكبوتين والشواذ والمُتسلّطين على من لا حَوْل ولا قُوة لهم، ومشهد آخر "في سجن الحراش تتحول إلى حشر قيامة بحلول ساعة النوم جهنّم أرحم في جحيم إلهنا أنت لا تُغتصب ولا تُجبر تحت التهديد بالقتل على استعمال فمك لتلبية حاجة أحد الشواذ في السجن الكل يتحوّل إلى مهووس أو شاذ بشكل أو بآخر " [5] ، هذا مشهد من المشاهد التي توضح لنا مدى بشاعة الوضع داخل السجن ومعاناة بعض السجناء من التحرشات الجنسية والاغتصابات وهذا البعد الاجتماعي غلب كثيرا على الرواية

---

1 _محمد رشاد متولي جرائم الاعتداء على العرض في القانون الجزائري ديوان المطبوعات الجامعية ط2 1989 ص124

2 _الرواية ص200

3_الرواية ص205

4_الرواية ص194

5_الرواية ص127

1_4:الانحلال الأخلاقي

يُعتبر الانحلال الأخلاقي من أكثر القضايا، أو بالأحرى المشاكل الاجتماعية الموجودة في المجتمع الجزائري في السنوات الأخيرة وخاصّة بين الشباب، منهم ،والمقصود بالانحلال الأخلاقي هنا هو تلك السّلوكيات البعيدة عن تعاليم الدّين الإسلامي وعن أعراف المجتمع، وإنّ موضوع الانحراف الأخلاقي تحدّث عنه الحبيب السائح في الكثير من المشاهد والأحداث، ليقرّبنا كثيراً من فئة الشباب وما تعانيه، ومن مظاهره نجد العلاقة غير الشرعية وانجرَّ عنها من عواقب، ففي الرّواية "لما واعدته نبيلة مرة ثانية في المزرعة، كانت قد مرّت ستة أسابيع على ليلتهما الأولى فافترشا التبن... " [1] فهذا مشهد واضح لما يحدث بين فيصل ونبيلة بحكم الصّداقة بينهما، وبحكم أنّهما يدرسان بالجامعة المركزية، فهذا مخالف تماما لتعاليم الدّين الإسلامي الذي يُحرّم كلّ علاقة خارج إطار الزواج، وكذلك من مظاهر الانحراف الأخلاقي الخيّانة الزوجية والدّيوثية، ففي الرواية: "فسكت لحظة عَمّ خلالها صمت هش ما لبث أن كسره " الدّيوث ولد العاهرة " نطق له الاكتع بصوت ساخر من طرف القاعة لمذا حكموا عليك ؟ – كنت سائق زوجته. وزوجته هي التي كانت تريدني أن ألبّي لها تلك الحاجة لأنه عاجز–راك تخرط – على أختك ...." [2]

وهذه حالة أخرى عن الحالات السلبية في المجتمع، والتي جسّدها الحبيب السائح ليوُضّح لنا ما يجري في المحيط الاجتماعي الذي نعيش فيه، وما هذه المشاهد والصّور إلاّ انعكاس للواقع المُعاش، ضِف إلى ذلك ظاهرة شرب الخمر والزنا اللتان حرّمهما الدين الاسلامي من قول الرسول صل الله عليه وسلّم "{ لاَ يَزنِي الزَانِي حِينَ يَزنِي وَهُو مُؤمِن، وَلا يَشرَب الخَمر حِينَ يَشرِبُها وَهُوَ مُؤمِن}"[3]

1_الرواية ص42

2_الرواية ص 169

3_حديث صحيح رواه البخاري و مسلم

ويظهر جلِياً هذا البّعد الأخلاقي في تلك التراكيب والجمل والمفردات من مثل :"شيء سافر وحقير أن يكيّف سبب القتل بمحاولة السرقة أو الاغتصاب أو الشذوذ، كما وقع قبل أيام قليلة عندما عُثر على أستاذ جامعة وهران مقتولا في مقر حزبه" "سأقطع لك شفتيك اللّتين بين رُكبتيك حين أخرج من هنا" ، "نقش" ، "إنّه ألم الاغتصاب" "العاهرة بنت القوادة " [1]، فمن خلال هي اللغة البذيئة نُلاحظ مدى فساد وتعفُّن المحيط الاجتماعي الذي نعيش فيه سواءً داخل السجن أو خارجه ،فالروائي هو ينقل لنا صورة عاكسة لما في الواقع، ويريد أن يطلعنا على مدى خطورة الوضع الذي جمع كلّ الفواحش والخبائث ولم تسبق أيّة أُمّة إلى ذلك من الفساد وهذا مِصداقاً لقوله تعالىَ "{ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البّرِ وَالبّحرِ بِمَا كَسَبَت أَيدِي النّاسِ} "[2] والفساد في الشريعة الإسلامية ممنوع بكل صُوره وأشكاله، والعبد منهيٌّ عنه وعن العمل به لقوله تعالى" {وَلَا تُفسِدُوا فِي الأَرضِ بَعدَ إِصلَاحِهَا}" [3]وقوله "{وَاللهُ لَايُحِبُ الفَسَادْ}" [4]"{وَاللهُ لَا يُحبُ المُفسِدِينْ}" [5] ، فمن أهم أسباب تدهور الأخلاق هو غياب الوازع الدّيني وتجاهل العادات والتقاليد المعروفة سواءً في الأفعال أو الأقوال البذيئة، وقد لاحظنا الكثير منها في الرواية ولعلّ السّبيل الوحيد للخروج من هذه الأزمة الأخلاقية، هي الاهتداء بتعاليم الدّين الحنيف فعن سعيد الخُدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صل الله عليه وسلّم يقول:{مَن رَأَى مِنكُم مُنكَراً فَلْيُغَيّرهُ بِيَدِه ،فَإِن لَم يَستَطِع فَبِلِسَانِه ،فَإِن لَمْ يَستَطِع فَبِقلبِه ،وَذَلِكَ أَضعَفُ الإِيمَانِ} [6]

وإنّ مُعالجة الانحرافات الأخلاقية أضحى مسؤولية الجميع، وبالأخلاق ترقى الأمم وتسقط كما قال أحمد شوقي :

إِنَّمَا الأُمَمُ الأَخْلاَقُ مَا بَقِيَت فَإِنْ هُم ذَهَبَت أَخلاَقُهُم ذَهَبُوا

1_ الرواية ص198

2_سورة الروم الآية 40

3_سورة الاعراف الآية 56

4_سورة البقرة الآية 205

5_سورة المائدة الآية 64

6_ رواه مسلم

"ولقد عُرف في الشريعة الاسلامية على أنّه جميع المحرّمات والمكروهات شرعاً كما عرفه الفقهاء على أنّه مخالفة الفعل الشرعي، فالفساد يعني الخروج عن الاعتدال سواء كان هذا الخروج كثيرا أو قليلا " [1] ، إذن فالفساد هو كل أنواع التعدي على الآخرين في المجتمع وخاصة لو كان هذا التعدّي في صورة فساد الأخلاق، وقد ارتأينا في رواية نزلاء الحراش نماذج كثيرة لشتى الصور البذيئة أخلاقيا "انتظر أن يُحرّش به ذلك الحارس أحد السجناء الشواذ لاغتصابه..."[2] ، وكذلك "ولكن بشكل آخر لذيذ في جسد نبيلة ليلة أوّل التباس لهما في المزرعة على فراش من التبن" [3]، ضِف إلى ذلك مشهد آخر "وتشمّم مؤخّرتها ففرّجت قليلا قائمتيها الخلفيتين. فركبها مثبتا إياها ..... حتى الخروج النهائي لعضوه من فرجها " [4]

فالانحلال الأخلاقي هو من الظواهر المنتشرة بكثرة في المجتمع وبصورة خاصة وسط فئة الشباب وقد انعكست هذه الأمور البذيئة في أبشع صورها في روايتنا التي بين أيدينا حتى يخيّل لك أنّك لست في مجتمع إسلامي

فالروائي هنا يعبّر عمّا يعانيه المجتمع وخاصّة الشباب، ومن ناحية أخرى وجب إعطاء بدائل علاجية لهذه الأمراض الاجتماعية، والعلاج الوحيد هو الزواج بدليل، عن حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا، ولفظه أنّ النبي (ص) قال: "لَم نَرَ للمتحابَّين مثل النّكاح"[5] وفي معناه أنّ العلاج الوحيد الذي لابدّ منه هو الزواج الشرعي، وغير ذلك كله يُؤدّي إلى الفساد وانتشار الرذائل والآفات الاجتماعية الخطيرة

1_ محمد مدني بوساق، المعروف بالفساد وصورة من الجهة الشرعية، الجزائر الخلدونية 2009 ص06

2_الرواية ص195

3_الرواية ص37

4_الرواية ص234

5_ الحديث صحيح، أخرجه ابن ماجه في سننه

1_5:القتل والاغتيال

تتألّق رواية نزلاء الحرّاش في بناء شخصيّاتها وأحداثها بالرّغم من تمحوُر الرواية حول شخصيتين الصّحافيين العاشقين: {فيصل شملول ونبيلة المرملي}، لكن بالمقابل تجلّت أحداث اغتيال الدّكتورة عالية ترغاس سنة 2011، موضوعا رئيسياً في الرواية، وسعى فيصل في التحقيق الصّحافي في اغتيال الدّكتورة ترغاس، وساعدته في ذلك نبيلة وكذا اغتيال الأستاذ الجامعي في وهران، وكذا اغتيال الأمين العام لاتحادية التنسيقية النّقابية برصاصات الغدر.

إنّ الإجرام فِعل خارج نطاق الأخلاق والقيم الدّينية، ومخالف لشرع الله سبحانه وتعالى من قوله تعالى :"{..وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ المُعْتَدِينْ }" [1]، والإجرام يُعتبر تصرّفا منحرفا يستوجب العقاب والحساب للحدِّ من خطورته وانتشاره، ولأنّ الفترة الأخيرة كانت مليئة بالحوادث الإجرامية وجب على الروائي الحبيب السائح كتابة روايته نزلاء الحرّاش

ويظهر هذا البُعد بكثرة من خلال مجموعة من الألفاظ والجمل الدّالة على ذلك فنجد "أبي زوجك، نجا مرتين من الاغتيال ..." ، "فرأى مثل شبح أسود أخرج من تحت معطفه بندقية صيد محشُوشة ....غير أنّ الطّلقتين .، في الرأس وفي الصّدر أسكتتاه "[2] "، ظهر أنّ الجريمة مُدَبّرة " وغيرها من الجمل والعبارات التّي توحي لنا أنّ الرواية تحكي عن الاجرام وكيفية الحدّ من خطورتها وآثارها والتحقيق في الفاعلين ومعاقبتهم، وكذلك من مشهد "ثمّ دخل المطبخ فعاد بسكين لحم، فيما كانت الدّكتورة تزحف مُصدِرة أنين مختنقا، فطأطأ وطعنها من الظهر طعنتين رمى بعدهما السكين فزعا لمنظر الدّم" [3] ، فتوحي لنا أنّ الرواية من الروايات البوليسية نظراً للمشاهد الكثيرة التي تعرض صور القتل والجرائم، وجرائم القتل في هذه الرواية مشكّلة في نوعين قتل مباشر "مومن شتوري" وفي من دفع له بالقتل "صديقه"

1_سورة المائدة الآية87

2_الرواية ص28

3_ الرواية ص105

وهنا نخصّ بالحديث عن القتل العمدي فهو:"القتل الذي يعتمد فيه القاتل إزهاق روح المجني عليه بأداة تؤدّي إلى الموت، أو اقترافه الفعل الذي يؤدي إلى إزهاق الروح بنية القتل"[1] ، وهذا النّوع من القتل يعتبر في الدّين الإسلامي من الكبائر حيث حرص الإسلام على حماية النفس وهدد بأشد العقوبات ذلك في قوله تعالى:﴿وَمَن يَقتُل مُؤمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾[2]

هذا السلوك الخطير (القتل العمدي) ناتج من عدّة عوامل تحيط بالقاتل ألا وهو "مومن شتوري" ربّما كان يعاني من عوامل نفسية، أو عقلية، أو اجتماعية

صورت رواية نزلاء الحرّاش العشرية السوداء كحقبة زمنية مظلمة من تاريخ الجزائر لا يمكن تناسيها من خلال اغتيال والد نبيلة والأخ الأكبر لفيصل، فاستهدفت الأبرياء وفئة من المثقفين كاغتيال الأساتذة الجامعيين، ولازالت تشكل عطبا فى ذاكرة الإنسان الجزائري الذي لم يبرأ منها وهيمنت على الجزائر حوادث، القتل والإغتيال والتفجير العشوائي وسفك الدماء كقتل مومن شتوري للدّكتورة "عالية ترغاس" بدون سبب

فأضحت الحياة الاجتماعية في الجزائر حياة صاخبة تتقاذفها الصّراعات السياسية بين نظام العصابة والشعب الطامح للحرية، بالإضافة إلى المشاكل الاقتصادية والثقافية ،فكل هذه الأوضاع خلفت واقعا متناقضا وفجوة عميقة جرفت الكلّ إلى الهاوية " الاستاذة ..اغتيلت .سياسيا _من أراد موتها _الجهة التي دبّرت اغتيال أستاذ جامعة وهران قبل أسبوعين _سمعت أنّه قتل لأسباب عاطفية شاذة _وقاتله مثله شاذّ؟ يا للمسخرة ولكن لمذا هو أيضا لأنّه كان عضوا نشطا ومحرّكا في التنسيقية"[3] فجرائم القتل كثيرة وأسبابها متعدّدة

1_قادة بلغيتيري فضلون، المجرم القاتل، دراسة ميدانية في المؤسسات العثمانية مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير انتروبولوجيا، جامعة تلمسان، 5008-2005، ص 21.

2_سورة النساء، الآية 93

3_الرواية ص97

1_6:الرّبط بين السّجن والسلطة

لقد نوّعت هذه الرواية في أحداثها كثيرا من المشاهد للتعبير عن واقع النزلاء في سجن الحرّاش، سواء سُجناء الحقّ العام والإجرام أو سُجناء الفساد السياسي، أو ما أصبح يُسمّى بالعصابة، فالمتصفح لهذه الرواية يُلاحظ جلياً الربط بين السّجن والسلطة، "ولأنّ الواقف أمامهُ لم يخفف تجاهه من حزم ملامحه رمى بملاينة أن مؤسّسة الحرّاش العقابية ليست على تلك الدّرجة من القسوة التي يصوّرها للرأي العام بعض الصّحفيين والمعارضين,,,,,,,,,على أنّه استدعى نزيل الزنزانة رقم 54 الى مكتبه "[1]

فربطت الرّواية بين الفساد الإداري والمالي والسلطوي والسّجن، ضمن أحداث الرواية فنقلت لنا مشاهد تدين العصابة، "فيصل سجن الحرّاش لا يضخّ في دمك القسوة فحسب إنّه يُعلّمك أيضا أن تنظر باحتقار الى أكبر الفاسقين والمرتشين . . . . تعرف من كان يؤمّهم في القاعة محكوم عليه بتهمة اختلاس الأموال من صندوق البنك العمومي الذي كان يشتغل فيه "[2] ، وتتطوّر أحداثها وتغمر السجناء في سجن الحراش الفرحة والشماتة، حين يبدأ السجن باستقبال جنرالات ووزراء ونواب ومسؤولين سابقين، قد أخذ السجناء يزغردون في بينما يتعالى الهتاف كليتو vipساحة مثل النساء كلما سمعوا خبر وصول ضيف جديد من البلاد يا السراقين، وهذا سجين يستبشر يا سعدنا الحرّاش سيتحول إلى نادٍ للأثرياء، والحراش سيتحوّل جزء منه إلى إقامة دولة جديدة وتعجّب المشروم تنافس إقامة موريتي . . . . . رئيسا حكومة بيننا يا مرحبا "[3] ، وكذلك مشهد عن الفساد السياسي "_ماذا تقصد الملفات المالية الكبرى منها خاصة ذات الصلة بالاستثمار المحلي والاستيراد _مثلا _استراد سبعمائة ألف سيارة نفعية خلال شهور بقيمة ثلاثة ألاف دولار تركب في العراء للصدإ...مثل تلك الملفّات كان لا يقرأُها لأنّها تحدث له صداعاً[4]

1_الرواية ص178

2الرواية ص130 131

3_الرواية ص 173

4_الرواية ص264

إنّ التغيرات السّياسية والاقتصادية التي عرفها المجتمع الجزائري منذ تولي الرئيس عبد العزيز بوتفليقة للحكم أحدثت شرحا فيما يخصّ منظومة القيم الاجتماعية التي أصبحت تشجّع على الفساد والرشوة، وقد ارتبطت الأسباب الاجتماعية للفساد بالبيئة والتأثيرات الاجتماعية من وعادات وتقاليد إضافة إلى الجهل والأمية والفقر وغياب الوازع الديني والأخلاقي وانتشار الطبقية في المجتمع كل هذه الأسباب تؤدي إلى ارتكاب تصرفات فاسدة وغير شرعية ففي هذا المشهد "جنرالاتك هم الذين قطعوا رأس رئيس الدولة وهم الذين سيأكلون رؤوسنا، أمّا برلمانيّوك الذين تعلم أنّهم كانوا يدفعون الملايير بالشكارة من أجل أن يكون الواحد منهم على رأس قائمة حزبه الانتخابية ليحصل على مقعد....."[1] هو مشهد واضح وصريح لظاهرة الرشاوي السياسية وكذلك " ..قد استراحت من عبئ ظلّ يثقل قلبها تجاه من تسبّبوا في الانهيار الاقتصادي والاجتماعي الذي عرفه البلاد في خلال العشرين سنة الماضية"[2] فنبيلة الشخصية البارزة في الرواية كانت تعمل على تحقيق صحفي في حالة انهيار البلاد اقتصاديا واجتماعيا وكذا "في العشرين سنة الماضية نشأت أوليغارشيا ذات مؤسسات كبيرة برّاقة وخادعة تغلغلت في هياكل الدولة ورشّت القادة ولوّثت جيلا بأكمله ..قوى المال الفاسد باتت تشكّل تهديدا حقيقيا لجسد الأمة وأراضيها وثرواتها الوطنية وحرمان شعبها من العيش الكريم"[3] ، فالرواية حملت الكثير من الأبعاد الاجتماعية المرتبطة بالأبعاد السياسية فالروائي خاض في فساد الحكام السّياسيين بغية إيقاظ الوعي والتفطّن في مخاطر وعواقب وتبعات الانهيار السّياسي والاقتصادي والاجتماعي

وهو في الأخير يقول على لسان فيصل "تبا لكم أنتم وحكوماتكم وساستكم . كلكم بلا استثناء تهوّر واستهتار وادّعاء وفردانية وفساد "[4] فهو يُعبّر عن مدى سخطه وامتعاضه لكل صور الحياة الاجتماعية التي آلت إليها الجزائر

1_الرواية ص 243

2_الرواية ص240

3_الرواية ص141

4_الرواية ص301

1_7:مرض الكورونا وانعكاساته

لقد تطرّق الكاتب لتفشّي مرض الكورونا الذي عطّل الحياة "اخترق الفيروس الجديد المجهول الطّبيعة والتركيبة كل الحدود وهو ينتشر بسرعة فائقة بين النساء والرجال، ولاسيما المسنون منهم دون تمييز بين الاجناس والديانات والأعرق ..... وقد عطّلت الورشات والمدارس والجامعات .....والبدء في تطبيق الحجر الصحي كليا أو جزئيا وإعلان الاستنفار في المستشفيات وتجنيد المخابر البيولوجية والصيدلانية "[1] ، فالتطرّق لوباء الكورونا كان لِزاماً من الروائي

وتعدّ رواية نزلاء الحراش قد قدّمت معالجة قيِّمة في دراسة الأدب الوبائي أو ما يسمى بأدب الجوائح، وتقديم تصوير واقعي ومُؤثّر لوباء الكورونا، وتناولت آثاره على الفرد والمجتمع، وهذا ليس بالغريب كون الرّواية كتبت خصّيصا لمعالجة المظاهر الاجتماعية، فكانت جائحة الكورونا إحدى المواضيع التي تناولتها في الصفحات الأخيرة، فأفرد لها أكثر من عشر صفحات وتطرّق إلى مدى خطورتها فقال "واحتملت أن يكون الفيروس الجديد قد صُنع مخبريا ضمن أسلحة الحرب الباردة الجديدة " [2] ، وأهمّ ما ركّز عليه هو بداية تفشي المرض في مدينة البليدة "فأخبرته أنّه سيُفرض في الساعات القليلة القادمة على مدينة البليدة حجر صحي، وأنّه ينتظر أن يُعمّم على مدينة الجزائر ومدن أخرى " فكان لهذا الوباء آثارا وخيمة في نفوس الجزائرين وترك أبعادا اجتماعيا عكسها الروائي في روايته نزلاء الحراش، فقال "ما يصيب العالم في هذه الساعات أمر خطير جدا يتهدّد البشرية بالفناء لانتشار الفيروس الجديد كالنار في الهشيم "[3] فكانت أبعاد هذا الوباء المنتشر بسرعة البرق، الشغل الشاغل الذي أرّق الحبيب السائح، ومن الكتاب القلائل الذين عكست كتاباتهم أمراض المجتمع المعيشي وهو الهدف الأسمى الذي تسعى إليه الكتابة الروائية.

1_الرواية ص296

2_الرواية 294

3_الرواية298

1_8:سجن الحراش

كان سجن الحراش يضمّ مسؤولين بأحكام مختلفة تراوحت بين حكم بالجرائم أو الزنا أو الاغتصاب، ومن المسجونين من هو سجين لأسباب سياسية ومنهم لأسباب اجتماعية، وهو السجن الذي يقول فيه فيصل " سجن الحراش لا يضخّ في دمك القسوة فحسب، إنّه يعلمك أيضا أن تنظر باحتقار إلى أكبر الفاسقين والمرتشين، وكيف يكتشفون الدّين بمجرد قضاء ليلتهم الاولى فيه "[1] ، ويبدوا لي أنّ الرّواية ربطت بين السجن والسلطة في ما يُعرف بأنسنة السجن، وقد بيّنت لنا هذه الرواية تلك المفارقات في التعامل مع السجناء العاميين والسجناء السياسيين، ففي سجن الحراش كُلّهم يخضعون لقانون الغابة، القوّي يأكل الضعيف والبقاء للأقوى، وهذه الرّواية أكّدت أنّ السّجون ما هي إلاّ مؤسّسات لترسيخ الجريمة والفساد والرشوة والاغتصاب.....الخ

سجن الحرّاش هو أقدم السجون الجزائرية شيده المستعمر الفرنسي سنة 1915 ومرّ به مواطنون أشدّاء أقوياء يقول :"فأنقل إلى هذا المكان الذي مرّ به مناظلون وطنيون أشدّاء في الأربعينيات والخمسينيات، وفي ما بعد الاستقلال وفي التسعينات وقبل الحراك بقليل وخلاله اليوم ...أنا في الزنزانة التي رفعت السلاح لإنهاء وجودها"[1] كلمات قالت منصور شملول عن السجن المخزي الذي سُجن فيه، ففي زمن الاستعمار زج الفرنسيون في السجن المقاومين والثوار، وفي زمن بعد الاستقلال زجّ به بعض من كانوا أمس إخوة ورفاق ولكن اختلفوا في الحكم السياسي، وفي فترات لاحقة زجّ به مرتكبوا الجُنح الأخلاقية، وفي حِراك فيفري 2019 زجّ به الناشطون السياسيون، ورئيسا حكومة سابقين ووزراء ورجال أعمال ومقاولون فاسدين بتهمة نهب المّال العام، فهو سجن مازال شاهدا على الجرائم حتى قيل فيه " كيف لم يُرمّم هذا السجن الشاهد على عار استعماري شنيع ارتُكب بحق انسان هذه الأرض ولم يُحوّل إلى متحف"[2]

1الرواية ص 154

2_الرواية ص158

ويقع "سجن الحرّاش" ببلدية الحرّاش في ضواحي العاصمة، بطاقة استيعاب تُقدَّرُ بألفَيْ سجين وفق احصائيات رسمية، وبحسب مراجع تاريخية مرت على السجن فترة الاستعمار الفرنسي بأكملها (1830_1962)، سُجن فيهِ العديد من الأسماء (جميلة بوحيرد ،حسين آيت أحمد ،مفدي زكريا)، وكذا كِبار مسؤولي الدّولة المنقلب عليهم مؤخرا. " ولنفسه ردّد. السجون جزءٌ من ذاكرة الإنسانيّة في انحطاطها أيضًا ...من أرشيف هذا السجن إخفاءً لآثار سبعةٍ وأربعين عاماً من وصمات القهر والقمع والتنكيل الجسديّ والترويع النفسيّ"[1]، وتحدّث الحبيب السائح عن الفرق بين سجن الاستعمار وسجن الحكومات الوطنية حاضرا عن جدوى مثل هذه السجون وما غرضها من التنكيل والتعذيب بالمعارضين السياسيين، وفي مشهد من المشاهد "فيصل هذه لك أكشف لك عنها لأوّل مرة في بداية سنتي الأولى بالسجن استعرض عليا موح الحراشي وشومه عاريا ثمّ واعدني بأن أحضّر له نفسي في الغد عند ساعة النوم ليلتها طعنته في العنق طعنة واحدة غائرة وقاضية بسكين سرّبه لي أحد السجناء مقابل مبلغ مالي كانت آمال ستدفعه لأمه ثم حززت عضوه وحشوت وبعد وقت حُملت جثته ضمن نفايات السّجن لترمى في مفرغة وادي السمّار"[2] ومن خلال هذا يتضح لنا أنّ السّجن يضمّ مختلف السّجناء من القتلة والمفسدين حتى أضحى سجن الحرّاش أداة تعذيب لبعض المظلومين والمحكوم عليهم، يُذكر أنّ السائح لم يخض تجربة السجن، ولكنّه انطلاقا من المخيلة والوثائق والشهادات الحية، جعل من فضاء سجن الحرّاش موضوعاً للرواية، ووصفه "بل هي شهادة حقيقية عمّا وصفه بحياة الألم والعسف في مؤسّسة عقابية تسمّى الحراش بناية يوحي ظاهرها بأنّها كبقية البنايات المجاورة لها، فيما باطنها جدران لها آذان سمعت بها خلال قرن طويل آلام الإنسان المظلوم بين جنباتها، وأنينه وصراخه ومقاومته وعينان شاهدتان على هدر كرامته وعلى مرضه الفتّاك موته الرخيص، ولسان أخرس على النطق بما نسيه التاريخ في زنزاناته الرطبة المظلمة العفنة "[3] وهذا يُوضِح لنا قساوة العيش داخل زنزانات السجن الحرّاشي

1_الرواية ص158

2_الرواية ص135

3_الرواية ص151

2_: اللغة والشخصيات وأبعادها الاجتماعية

2_1:اللّغة في الرواية

تُعتبر اللّغة ظاهرة اجتماعية تتفاعل مع المجتمع وتتبادل بها الخطابات بين أفراد المجتمع الواحد تَتأثّر وتُأثِّر في المجتمع، فلا لُغة بدون مجتمع ولا مجتمع بدون لغة، وهذا نظرا لأهمّتها البّالغة في الجتمع وفي الكتابة الروائية، ومن أشهر تعريفاتها تعريف ابن جني للغة، ومن ذلك قوله في (باب القول على اللغة وما هي):" أما حدها: فإنّها أصوات يُعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم، هذا حدها "[1]، فاللّغة في رواية نزلاء الحرّاش جاءت منقسمة إلى قسمين لغة فصحى ولغة عامّية

اللّغة الفصحى: وقد حاول الرّوائي بكثافة أن يجعل خطابه الرّوائي أكثر فصاحة مراعاة للجّمال الفني الروائي، ومن أهمّ المقاطع التي مثلت اللغة الفصحى: "هذه اللّحظة للتاريخ وليست للعناية" ، "وكأنّه لم يكن يظطّلع بأيّ مسؤولية" ، "أريدُك لي وحدي " ، "أُجنّ إن اكتشفت أنّ لك علاقة بغيري وقد أقتلك لذلك ".... الخ، هذه والكثير الذي لا يُعدّ ولا يُحصى من الجمل والمحادثات تمّت باللّغة الفصحى، بغية الرفع من مستوى الكتابة الروائية وقد جاءت فيها الكثير من القوة والبلاغة نظرا لأهمية المواضيع المعالجة

اللغة العامية: وهي لُغة الحديث التي نستخدمها بشكل يومي في شؤوننا العادية، فهي لا تخضع لقوانين النحو والصّرف والبلاغة، فهي لغة المجتمع التي تمتاز بالسهولة والبساطة والروائي الحبيب سائح استعمل كمًّا لا بأس به من اللغة الدارجة، ومن أمثلة ذلك "راح زمان الامان مع أهلو" ،"راك تخرط _على اختك" ، "جابوهم في البيضا جابوهم " ، "رئيس حكومتك جا يشوف هذا .....الخ، فالرّوائي وظّف بحقّ العديد من الألفاظ العامية الدّارجة بغية مشاركة القارئ للرّواية تلك الصُور الاجتماعية

وهناك بعض الكلمات كتبت باللغة العامية ولكنها امتازت بالقوة "نبغيك " أي أحبك ، "الغاشي" أي الشعب "حتى البلغتان متشابهين" أي النعلتين متشابهتان وغيرها

_ ابن جني الخصائص عالم الكتب للطباعة والنشر 2006 المجلد الاول ص33

فاللّغة العامية هي لغة تحمل في طيّاتها بُعداً اجتماعياً لا حُدود له وامتازت بالقوة و البلاغة

وقد استعمل الرّوائي الكثير من الألفاظ البّذيئة، أو الألفاظ الشارعية نقلها من الشارع وأسقطها في روايته فنذكر مشهد من الرواية "هكذا قال في الظاهر، وبنوع من المكابرة والاستعلاء المصطنع قال السارد "فسأله عمّا إذا كان يذكر كاتب المقال فأجاب بلا تردّد، إنّها تلك اللقيطة رفيقة نجل المجاهد الدّعي، وبنت الطبيب الشيوعي الهالك والأستاذة اللائكية أمها المقعدة "[2] "لمسح مؤخرة في الخلاء".... "المهووسين بالعادة السرية"... "استعمال فمك لتلبية حاجة أحد الشواذ"..... "أخرج عضوه"..... وغيرها مما يوحي بتعفّن الاوضاع المعيشية الاجتماعية

2_2:الشخصيات وأبعادها الاجتماعية

تُعتبر الشخصيات عنصراً هاماً من عناصر الرّواية الأساسية، حيث لا يمكن تُصوَّر رواية بدون شخصيات، فلكل شخصية خصائصها ووظائفها الخاصة، فالشخصيات تقوم بإثارة الأحداث في الرواية، ما يجعلها رواية متوازنة ومتكاملة.

وتدور أحداث رواية نزلاء الحرّاش حول شخصيتين رئيسيتين: وهما فيصل ونبيلة وعِدّة شخصيات ثانوية، فليس دور آخرين بأقلّ من شخصية محمود والحسين شملول ومنصور شملول الشهير بسي لخضر والدكتور مهدي مرملي والد نبيلة، وصمد بويعلى وعبد الرزاق كلال ومومن شتوري.

فيصل شملول: لقد أختار الحبيب سائح شخصية فيصل، ذلك الشاب الطموح والّذي كان يعمل صحفيا، وكان يدرس في الجامعة، والتقى في كلية الصحافة بنبيلة الّتي اغتال عبد المعطي كراف والدها وأخ فيصل الأكبر معا، فكان يحمل الكثير من الأمل، ولكن بالمقابل كان يحمل في أعماقه روح الانتقام لاغتيال شقيقه وقد قام الكاتب بتوظيف شخصية فيصل في التحقيق لمقتل الدّكتورة عالية.

نبيلة المرملي: وهي صديقته وعاشقة وفيّة له رغم المحن التي مرّت بها، فقد التقت بفيصل بالجامعة المركزية كونها تدرس في كلّية الصّحافة، وقد وظّفها الروائي لتُساعد فيصل في إنجاز مهمّته في الكشف عن خبايا الفساد في عمق الدّولة ووسط الحراك.

فجاءت هاتين الشخصيتان عبارة عن كفّتين الميزان في "نزلاء الحرّاش"، يتبادلان الأدوار ويكملان بعضهُما البعض لينجزا عملا صحفياً نزيهاً، فكانا يعملان في صحيفة البرقية، وهما اللّذان شاركا في ثورة الجزائر المُسمّاة بالحِراك الشعبي، وساهما في موقعهما كصحفيين في تعرية الكثير من مِلفّات الفساد عن طريق الصحافة الاستقصائية، وكانا صوت الكاتب الحبيب سائح الناطق، ولذلك تتحوّل أبعاد الشخصية من أداة فنية في الرّواية إلى رمز ودليل على الاستبداد ولسان ناطق يُعبّر عن تفكير الروائي، ولأنّ الحبيب السائح كان يعشق الحرية فقد جعل العلاقة العاطفية بين فيصل ونبيلة علاقة حُرّة، لا تربطها مواثيق ولا عادات ولا تقاليد ولا حدود شرع فهي علاقة عشق وحبّ وكل شيء

3:2: الزمان والمكان وأبعادهما الاجتماعية

المكان وأبعاده الاجتماعية

يُعدُّ المكان عنصرا حيويا ينبغي أن يكون داخل الرواية، فهو بمثابة الركيزة الأساسية لكلّ عمل روائي، فكلّما تعدّدت الأحداث والشخصيات الفاعلة تعدّدت بالضرورة الأمكنة، وتأتي صُورة المكان في هذه الرواية على نمطين :

الأماكن المفتوحة: وهي تلك الأماكن المفتوحة الواسعة مثل الجامعة المركزية، مدينة البليدة وشوارعها، ومدينة الجزائر العاصمة وشوارعها وأحياءها، فالروائي نقل لنا الأحداث السياسية والاجتماعية أو ما يُسمّى بالحراك الشعبي وتداعياته

الأماكن المغلقة: وهو ذلك المكان الضيّق، ويتجسّد في الرّواية في سجن الحرّاش الذي جرت فيه أغلبية أحداث الرواية، فالسّجن يُعتبر مكان عدائي ضد الشخصيات من خلال ظلمته وانغلاقه، فالسّجن بشكل عام هو مناقض للحرية، ولكن سجن الحرّاش الذي قالت عنه إحدى شخصيات الرواية "إنّها متلازمة سجن الحرّاش باعتباره مجتمعا مُصغّرا للوحشية والقسوة ونفي الإرادة أي خلاصة القهر المؤدّي إلى العدم" [1]

1_ الرواية ص130

فالعنصر المكاني له دلالات اجتماعية واضحة في احتواء الأحداث التي سايرت فترة الحراك الشعبي بين مدينتي الجزائر العاصمة، والبليدة، ونُلاحظ أنّ كُلّ مكان تمّ ذِكره في الرواية قد حمَل بُعداً اجتماعياً معيناً، بدءاً من الجامعة وبالتحديد في كلّية الصحافة، فالرواية أساساً تقوم على فيصل ونبيلة الّذين التقيا في تلك الكلية، فحدثت الكثير من الأحداث في تلك الكلّية، ونلاحظ أنّ الكاتب قد تعمّدَ ذِكر بعض المظاهر السّلبية التي تجتاح الجامعات كالاختلاط الجامعي، وكذا اغتيال الأساتذة الجامعيين، ثم ذكر لنا السّجن الحراشي وما حمله من ظلم وقهر وتحرّشات جنسية، فترك دلالات اجتماعية مخزية في من يقرأ الرواية.

البنية الزمانية للرواية

يبدوا أنّ أوّل ما بدأت به الرواية هيّ مقولة هنري ميلر"أن تكتب هو أن تستعيد الزمن" [1]، فلهذا قد ركّز الرّوائي على استعادة بعضاً من التاريخ من الثورة التحريرية الكبرى،والزمن في الخطاب الروائي: "الزمن هو الشخصية الرئيسية في الرّواية، ففي الرواية الجديدة يمكن القول أن الزمان يوجد مقطوعا عن زمنيته، إنّه لا يجري، لأنّ الفضاء يحطّم الزمن، والزمن ينسف الفضاء واللّحظي ينكر الاستمرار"[2] نفهم أنّ البنى الزمانية في الرواية المعاصرة تتعدّد وقد تأتي مقطوعة أحيانا

فقد بدأت أحداث الرّواية من الأحداث المؤلمة الدّموية التي عاشها بطلا الرواية فيصل ونبيلة، بقتل والد نبيلة والأخ الأكبر لفيصل من طرف الجماعات الإرهابية في فترة التسعينات، وهي الفترة الزمنية التي لم يتطرّق إليها الروائيين الجزائريين، فكانت لحظة زمنية فارقة ذكرها الحبيب السائح، ثم ذكر لنا تاريخ مقتل الدكتورة عالية ترغاس سنة 2011، حتى وصل إلى اللّحظة الزمنية المعاصرة وأحداث 22 فيفري 2019 التي تجلت أحداثها في الرواية، وكذا فترة تفشي مرض الكورونا وهي فترات زمنية متفاوتة كانت لها دلالات اجتماعية واضحة خاض فيها الروائي أحداثه وصراعاته،

1_الرواية ص1

2_غسّان اسماعيل عبد الخالق ، الزمان المكان النصّ اتجاهات الرواية العربية المعاصرة المؤسّسة العربية للدراسات والنشر بيروت لبنان ب ط 1993،ص 70

وقد لمست هذه البنية الزمنية من خلال التواريخ والحقب الزمنية الذي ذكرها الروائي في روايته وصفحاتها بالإضافة إلى حرص السائح على تصحيح المسار من خلال تصحيح الذاكرة الاستعمارية، بواسطة اليوميات التي كان يكتبها السّي لحضر في السجن فكتب عن الحقبة الاستعمارية "قتلوا بجانبه في عز العمر ، في هذه المعركة أو تلك خلال أعوام حرب التحرير السبعة "[1]هو هنا يسرد مقوامته للاستعمار على لسان إحدى الشخصيات أما بالنسبة للعشرية السوداء "ستة أعوام، كما يذكر الآن كانت قد مرّت على اغتيال محمود في ألف وتسعمائة وتسعة وتسعون....."[2] وفيها حدث ما حدث من سفك للدماء وظلم وتشريد .....الخ

مثّلت العشرية السّوداء ذاكرة أليمة لكل الجزائريين، وخاصّة منهم المثقفين والكتاب، لأنّ يد الإرهاب كانت مهمّتها اغتيال العقول أساسا، فكانت رموز الجزائر تتعرض للإبادة في ظروف غامضة على يد أفراد الجماعات الاسلامية، وقد راح في هذه الفترة الكثير من المثقفين والأسماء المؤثرة في المشهد الثقافي الجزائري، والمقصود بالعشرية السوداء هي فترة التسعينات في الجزائر، وتتمثل في الحرب الأهلية التي قامت بين النظام والفصائل الدينية المسلحة، وقد خلّفت آثارا مُدمّرة على كل المستويات، أمّا بالنسبة للعصر الرّاهن، ومثّل بذلك بداية الاحتجاجات، وخروج الجزائريين لتغيير السّلطة وتعبيرهم لرفضهم للعهدة الخامسة للرجل المريض الرئيس بوتفليقة، ومناداتهم بالحرية في كل الميادين، فكان لكل بنية زمانية أبعادها الاجتماعية، وكانت للبنية الزمانية دلالات واضحة في تحول الأحداث والصراعات بين الشخصيات فقد لعبت دورا بارزاً وواضحاً

وما يسعنا قوله في هذا الصّدد هو أنّ الرواية تصوغ نفسها داخل الزمن أو الفترات الزمنية المتوالية باعتبار هذه النبية الزمانية (من التسعينات إلى يومنا هذا)، هي الأنسب والأكثر منطقية لها، وهذا بما يُقدّمه لنا الروائي من حركية ومرونة تساعد أحداث الرواية على التحرك للأمام أو الخلف، فالزمان والمكان هو المحور الذي تؤول إليه كلّ البنى الروائية، وفيه تُبنى الرّواية وفيه تُصاغ الأحداث فلا يمكن أن نتصوّر كتابة حكائية دون زمان أو مكان

1_الرواية ص214

2_الرواية ص18

الخاتمة

لكلّ بداية نهاية، وها أنا أختم باللّمسات الأخيرة للعمل الذي قمت بإنجازه، وأنا أقف عند آخر محطة وعن النتائج التي توصّلت إليها من خلال خوضي غمار هذا البحث فجاءت كالآتي:

– تندرج هذه الرّواية ضمن الرّواية السياسية وأيضاً ضمن الرواية السجنية، وهذا لتناولها العديد من المواضيع السياسية والكشف عن المسؤولين الفاسدين والإطاحة بهم وسجنهم

– كانت رواية"نزلاء الحرّاش" مسايرة لمشاكل وهموم المجتمع الجزائري، وذلك من خلال أحداثها التي جرت في الأحياء الشعبية وداخل زنزانات السجن

–عند دراستي للجوانب الاجتماعية وجدتها مجموعة من المشاكل وصراعات واغتيالات وأحداث حقيقي وواقعية، فكانت الرواية بمثابة مرآة عاكسة للواقع

_تعكس الجوانب الاجتماعية أزمة حقيقية في الأخلاق والسّلوك، ألا وهي غياب التربية الأخلاقية، وإنّ حاجيتنا لها في هذه الفترة هي أشدّ وأقوى من أيّ وقت مضى

_حاول الرّوائي تقديم صورة عن فترة التسعينات فترة العشرية السّوداء، التي عاشها الشعب الجزائري والوقوف على أبشع الجرائم التي اقترفتها الجماعة المتطرّفة في حقّ المجتمع الجزائري

–إنّ رواية نزلاء الحرّاش سردت لنا أحداث عِدّة مراحل تاريخية مرت على الجزائر بداية بالحقبة الاستعمارية، وصولاً إلى الفترة المعاصرة وما تمخّض منها أحداث سياسية

_لم يكن الروائي بمعزل عن هذا الحراك الشعبي، فنقله لنا من خلال شخصياته الروائية التي اختارها بدقّة وأسند إليها تلك الوظائف السردية وهي جاءت في قالب روائي جميل

–تميّزت الرواية بلغة قويّة وفذّة مشحونة بالكثير من جماليات الألفاظ والمعاني، كما أنّ الروائي استعمل مصطلحات مأخوذة من العامِيَة الدّارِجة وهي اللغة الشعبية

–تميزت الرواية بنوع من تداخل بين الأجناس الأدبية كالمسرح والرواية فقد اقتحمت بعض المشاهد المسرحية في حوارات الرواية

–يُعدّ الحبيب سائح أحد عمالقة الرواية السياسية التي تهتم بكلّ ما يدور بالحكّام والمحكومين،

كما أنّه رسم لنا شخصيات روايته رسماً واقعياً قريبة من الأحياء الشعبية لمدينتي البليدة والجزائر العاصمة، وجعل شخصياته تتكلّم باللّغتين الفصحى والعامية،

ضِف إلى أنّه وظّف التراث الشعبي بكثرة، وإضافة إلى كلّ ما سبق استطاع الروائي أن يجمع بين ما هو سياسي وما اجتماعي شعبي، وأن يجمع بين الخصال الحميدة والخصال الرذيلة التي تُحدِّد القيم الاجتماعية للمجتمع .

فالرواية جعلتنا نقف على حقيقة المجتمع الجزائري الذي يعاني من مجموعة من الأمراض الخطيرة، كالفقر والسرقة والجريمة والاغتيالات والدّعارة والفسق والفساد الاجتماعي والفساد السياسي، وكذا الاختلاط الجامعي وما تنتُج عنه من علاقات غير شرعية

وهذه الدّراسة ما هي إلاّ محاولة مني لتسليط الضوء على ما تضمّنته رواية "نزلاء الحرّاش" الصّادرة حديثاً، وما تضمّنته من أبعاد سياسية واجتماعية

وعلى الرغم من كل هاته الآفات والأمراض الاجتماعية ،إلا أنّ أكثر ما يميّزها هي تلك العلاقة الرومانسية بين فيصل ونبيلة وذلك الحب الحقيقي والغيرة المنبعثة من نبيلة

وفي الأخير أرجو أن أكون قد تطرّقت إلى ما كنت قد سطّرته في إشكالية المقدّمة، وآمل أن أكون قد سلّطت الضوء على الواقع الاجتماعي المنعكس في رواية نزلاء الحرّاش للحبيب سائح فإن أصبتُ فذلك الذي كنت آمل، وإن لم أُوفق فهذا جُهد عقلي

{ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْت وَإِلَيْهِ أُنِيبْ }

{"قُل بِفَضلِ اللَّهِ وَبِرَحمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفرَحُوا هُوَ خَيرٌ مِمَّا يَجمَعُون"}

السيرة الذاتية للحبيب السائح:

كاتب وروائي جزائري من مواليد 24 أفريل 1950، بمنطقة سيدي عيسى ولاية معسكر ، ولكن عاش ونشأ في مدينة سعيدة ودرس في جامعة وهران وتخرّج منها بشهادة باكالوريوس في الآداب، وبعد تخرّجه عمل مدرِّساً في المعاهد التكنولوجيا للتربية، وقد ساهم في الصحافة الوطنية والعربية، وعمل أستاذ مشارك في جامعة التكوين المتواصل، وكذلك عمل في معهد اللغة الفرنسية في المركز الجامعي لسعيدة، وفي سنة 1994 غادر الجزائر متّجها إلى تونس، حيث أقام فيها نصف سنة ثمّ توجّه إلى المغرب الأقصى واستقر فيها، ولكن بعد سنوات عاد إلى أرض الوطن وتفرّغ للكتابة الأدبية والروائية، بدأ السائح مسيرته الأدبية في البداية بكتابة مجموعات قصصية قصيرة، بالرغم من أنّه كان طالبا جامعيا، فأصدر أوّل مجموعة قصصية بعنوان "القرار" سنة 1979، فتوّجت بالجائزة الأولى لمهرجان القصّة والشعر، وبعدها بعامين أصدر "الصعود نحو الأسفل" إلى أن أصدر أوّل رواية متكاملة سنة 1985 بعنوان: "زمن النمرود" فتعرّضت لكثير من الانتقادات والمضايقات السياسية، فسُحبت من المكتبات، وهذه الرواية كانت سبباً في هجرته عن مدينته والعيش بعيداً عن أهله لسنوات، وواصل السائح كتاباته فكتب رواية :"الموت بالتقسيط "سنة 2003 والعديد من الروايات مثل "أنا وحاييم" 2018، وفازت هذه الرواية بجائزة كتارا للرواية العربية، إلى أن أصدر ثلاثيته الرواية بدءاً ب "من قتل أسعد المروري"، وثم رواية "ما رواه الرئيس"، وأخيراً رواية "نزلاء الحراش"، كما تُرجمت بعض رواياته للغة الفرنسية منها (ذلك الحنين، تماسخت، تلك المحبة، مذنبون لون دمهم في كفي)، كما ترجم الحبيب سائح بعض الأعمال من اللغة الفرنسية إلى العربية منها "شرف القبيلة" لرشيد ميموني، وكتاب "لا وجود للصدفة" لجمال عمراني

نال عِدّة جوائِز وترشِيحَات :

-جائِزة الرواية من ملتقى عبد الحميد بن هدوقة بالعاصمة 2003

-وصلت رواينته أنا وحاييم إلى القائمة الطويلة للجائزة العالمية للرواية العربية _بوكر 2019

-فاز بجائزة كتارا للرواية العربية عن روايته أنا وحاييم 2019

قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم

1. قائمة المصادر :

1_ ابن جنّي، الخصائص، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع 2006

2_ الحبيب سائح، رواية نزلاء الحراش، دار ضمة الجزائر بالاشتراك مع دار ميسكلياني تونس تاريخ النشر سبتمبر 2021

2. قائمة المراجع

1_ إبراهيم سعدي، دراسات ومقالات في الرواية، منشورات السهل، الجزائر، دط2001

2_ أحمد قيصر، منهجية علم الاجتماع بين الماركسية والوظيفة البنيوية، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ط2 2006

3_ أحمد منور، قراءات في القصّة الجزائرية، مكتبة دار الشعب المكتبة الوطنية للنشر والتزيع الجزائر 1981

4_ إسحاق إبراهيم منصور، الموجز في علم الإجرام والعقاب، ديوان المطبوعات الجامعية ط3 الجزائر 1989

5_ بيريس، ر،م،تاريخ الرواية الحديثة، ترجمة جورج سالم، منشورات بحر المتوسط عويدات بيروت لبنان ط2 1982

6_ بسّام قطّوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية، ط1 2006

7_ بوشوشة بن جمعة، اتجاهات الرواية في المغرب العربي، المغاربية للطباعة والنشر والاشهار، تونس 1999

8_ جان بيلمان نوبل، التحليل النفسي والأدب، ترجمة وتحقيق حسن المودن، المجلس الأعلى للثقافة ط1 القاهرة 1997 الفصل الأول

9_ حسين خميري، فضاء المتخيل مقاربات في الرواية، منشورات الاختلاف، ط1 الجزائر 2002

10_حميد الحميداني، النقد الروائي والإيديولوجي، المركز العربي، بيروت لبنان، ط1 1990

11_ داود عطاشة حسين راضي، قضايا النقد العربي قديمها وحديثها، الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع، ط2 الأردن 1952

12_ سامي يوسف بوزيد، تنوص النّص الأدبي، دار ميسرة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1 2012

13_ سامية حسن الساعاتي، الثقافة والشخصية، دار النهضة العربية للطبع والنشر، بيروت دط 1983

14_ سلمى الجيوسي، البطل في الأدب العربي المعاصر الشخصية البطولية، نوفمبر 1977

15_ سيد حامد النسّاج، بانوراما الرواية العربية، دار غريب ط1 1980

16_ صالح بشرى موسى، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، ط1 ،المركز الثقافي العربي، بيروت،1994

17_ صالح هويدي، النقد الأدبي الحديث قضاياه ومناهجه، منشورات جامعية، أفريل ط1 2005

18_ صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، دار الآفاق العربية القاهرة ط1 1996

19_ شكري عزيز ماضي، في نظرية الأدب، دار الحداثة للنشر والتوزيع بيروت لبنان ط1 2005

20_ شوقي ضيف، البحث الأدبي طبيعته أصوله مصادره، مكتبة الدراسات الأدبية دار المعارف ط6 2008

21_ عبد الرحمان منيف، الكاتب والمتلقي، المؤسّسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء بيروت لبنان، ط3 2001

22_ عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، دار الغرب للنشر والتوزيع 2004

23_ عبد المعطي سيد، التناقض الوجداني للشخصية العربية المعاصرة، دار الحوار للنشر والتوزيع ،سوريا ط1 1992

24_ عبد الوهاب شعلان، الخلفيات السوسيوثقافية للخطاب الروائي الجديد في الجزائر، مجلة التواصل في اللغات والآداب، العدد 41 ،جامعة باجي مختار، عنابة، مارس 2015

25_عثمان موافي، مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية مصر 2008

26_غسّان اسماعيل عبد الخالق، الزمان المكان النصّ اتجاهات الرواية العربية المعاصرة المؤسّسة العربية للدراسات والنشر بيروت لبنان ب ط 1993

27_فاطمة قاسمي، الوعي الوطني في الرواية الجزائرية المعاصرة، دار الأوطان للطباعة والنشر، سيدي موسى الجزائر دط 2011

28_محمد الخطيب، الرواية والواقع، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ط1 1988

29_ محمد حور ابراهيم، القبض على الجمر تجربة السجن في الشعر المعاص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004

30_ محمد رشاد متولي، جرائم الاعتداء على العرض في القانون الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية ط2 1989

31_ محمد كامل الخطيب، الرواية والواقع، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت لبنان 1988

32_محمد سعيد فرح، ما علم الاجتماع، مؤسسة المعارف للطباعة والنش، الاسكندرية 2012

33_ محمد صايل عثمان، قضايا النقد الحديث، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن 1991

34_محمد مدني بوساق، المعروف بالفساد وصورة من الجهة الشرعية،الجزائر الخلدونية2009

35_محمد مصاييف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، ط2 المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984

36_ محمد مصايف، الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ط1 1983

37_هديل عبد الرزاق أحمد، الرواية النسوية خارج فضاءات الوطن، ط1 2007

38_ واسيني الأعرج، النزوع الواقعي الإنتقادي في الرواية الجزائرية، اتحاد الكتاب العرب دمشق سوريا 1985

39_ واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية في الجزائر، بحث في الأصول التاريخية والجمالية في الرواية، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، دط 1986

40_ واضح الصمد، السجون وآثارها في الثقافة العربية من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر الأموي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ط1 بيروت لبنان 1995م

41_ وليد قصّاب، مناهج النقد الأدبي، دار الفكر سوريا ط1 2007

42_ يمينة براهيمي، بنية الشخصية في الرواية الجزائرية المترجمة، مجلة العلوم الانسانية، المركز الجامعي علي كافي تندوف الجزائر، ع1 المجلد 05 2021

مقالات ومذكّرات

1_ تيسير مفتي، مقالة أزمة تمثيل المجتمع في الرواية الجزائرية، (الجمهورية يوم 11 أفريل 2016)

2_ عبد الوهاب شعلان، الخلفيات السّوسيوثقافية للخطاب الروائي الجديد في الجزائر، مجلة التواصل في اللغات والآداب، العدد 41، جامعة باجي مختار، عنابة، مارس 2015

3_ قادة بلغيتيري فضلون، المجرم القّاتل، دراسة ميدانية في المؤسّسات العثمانية مذكّرة تخرّج لنيل شهادة الماجستير انتروبولوجيا، جامعة تلمسان، 5008-2005

فهرس المحتويات

مقدمة.....02

الفصل الأول: دراسة نظرية حول مفاهيم البحث

المبحث الأول:قراءة في النهج الاجتماعي

ماهية المنهج الاجتماعي 05

خصائص المنهج الاجتماعي.....09

مبادئ المنهج الاجتماعي 10

المبحث الثاني : النقد الاجتماعي في الرواية الجزائرية

النقد الاجتماعي في الرواية الجزائرية.....11

الأبعاد الاجتماعية في الشخصية الروائية.....17

المبحث الثالث قراءة في أدب السجون في الجزائر

أدب السجون 18

الفصل الثاني الأبعاد الاجتماعية في رواية نزلاء الحراش –دراسة تطبيقية–

الجوانب الاجتماعية في الرواية.....21

الآفات الاجتماعية في الرواية.....23

الاغتصاب.....24

الانحلال الأخلاقي.....25

القتل والاغتيال.....28

الربط بين السجن و السلطة.....30

وباء الكورونا وانعكاساتها.....32

سجن الحراش.....33

اللغة في الرواية.....35

المكان في الرواية.....37

البنية الزمانية. 38

الخاتمة.....40

السيرة الذاتية للروائي الحبيب السائح.....,..... 42

قائمة المصادر والمراجع.....44

فهرس الموضوعات.....49